# دلائل الحق

## أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

### المجموعة الثانية عشرة



إعداد

مركز الدليل العقائدي




مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين والمشككين



إعداد: مركز الدليل العقائدي

الإجابات والردود: السيد مهدي الموسوي الجابري

التدقيق والتصحيح اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي

التصميم والإخراج الفني: محمد مهدي عبد الإله الجابري

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ٢٠٢٣ م / ١٤٤٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبِناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم حين قال في حديثٍ صحيح: "إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض"، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين «الكتاب والعترة» معًا، كهذا الحديث الصحيح: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

---

(١) فصلت: ٣٣.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ الثانية عشرة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٩ ذو القعدة – ١٤٤٤هـ

الموافق ٨/ ٦/ ٢٠٢٣م

## النبيُّ ﷺ معصومٌ في التبليغ وغيره

السائل: أحمد عبد الله

السؤال: سؤالي عن الرسول صلى الله عليه وسلم. بعض المسلمين يقولون: إنه معصوم في الأمور التبليغية فقط، وآخرون يقولون: إنه معصومٌ مطلقًا. أنا شخصيًّا أعتقد أنه معصومٌ في الأمور التبليغية. هل يمكنك أنْ تثبت مِن الكتاب والسُّنة أنه معصومٌ في التبليغ وغيره؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

عن دعوى من يقول: إنّنا مأمورون بالأخذ بالأمور التبليغية فقط؟! نسأل:

كيف يميِّز الناس في كلام النبيّ ﷺ بين الوحي وغيره ليأخذوا بما هو وحيٌ، ويتركوا ما ليس كذلك؟!

فلا مناص من القول بعصمة النبيّ ﷺ مطلقًا، لعدم القدرة على التمييز بأنّ ما يقوله وحيٌ أو غيره!

ويدلّ على هذا الاعتقاد جملةٌ من الآيات القرآنية، نذكر بعضًا منها:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة نجد أنّ الإطاعة مطلقةٌ للرسول ﷺ، والإطلاق يفهم منه الشمول لكلّ الحالات، سواءٌ التبليغية وغيرها.

وها هو الفخر الرازي يقول في تفسيره للآية الكريمة:

«إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن يكون معصومًا عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصومًا عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرًا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهيٌّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محالٌ، فثبت أنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنَّ كل من أمر اللهُ بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصومًا عن الخطأ»[2].

(١) النساء: ٥٩.
(٢) تفسير الرازي، ج١٠، ص٤٤.

فهذا بيانٌ صريح من عالمٍ كبير من علماء أهل السُّنّة بأنّ الإطاعة المطلقة توجب العصمة.

وقال تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

وهذه الآية أيضًا صريحةٌ بإطلاقها؛ إذ تؤكد أنَّ مطلق ما ينطق به النبيّ ﷺ لا يكون عن هوىً، سواء كان تبليغًا أم غيره.

وقد دلّ على هذا المعنى –من عصمة النبيّ ﷺ المطلقة– أيضًا جملةٌ من الأحاديث الصحيحة والحسنة التي رواها أهلُ السنّة أنفسُهم.

فقد روى أحمد في مسنده، وأبو داود في سُننه، والدارمي في سُننه، والحاكم في مستدركه، صحّحه، ووافقه عليه الذهبي، وابن كثير في تفسيره، وابن حجر في الفتح: أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب كلّ ما يسمعه من رسول الله ﷺ، فنهته قريش عن ذلك، وقالوا له: إنّك تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله بشرٌ، يتكلّم في الرضا والغضب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له: «اكتب فو الّذي بعثني بالحقّ ما يخرج منه إلّا الحقّ، وأشار إلى لسانه»[2].

---

(١) النجم: ٣–٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٦٢؛ سنن أبي داود، ج٢، ص١٧٦؛ سنن الدارمي، ج١، ١٢٥؛ المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٨٦؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٦٤؛ فتح الباري، لابن حجر، ج١، ص١٨٥.

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يخرج منه إلّا الحقّ» عامٌّ ومطلق، يشمل الحالات كلّها.

وليس هذا فحسب، بل ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه حتّى في حالات الممازحة والمداعبة لا يقول إلّا حقًّا، فقد قال له بعض أصحابه يومًا، وكان يداعبهم: فإنّك تداعبنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي لا أقول إلّا حقًّا»[1].

قال المباركفوري في شرحه للحديث: «(لا أقول إلّا حقًّا) أي: عدلًا وصدقًا، لعصمتي من الزلل في القول والفعل، ولا كلّ أحد منكم قادرٌ على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم»[2].

وهكذا الحال في موضوع السّهو والنسيان، لا يمكن أن يصدر عن الأنبياء؛ لعدم قدرة الناس على التمييز بأنّ ما يأتيهم به الأنبياء صدر منهم حال الالتفات أو حال الغفلة والسهو والنسيان.

فلو أردنا أن نميّز بين حالة الالتفات وحالة السهو والنسيان عند الأنبياء فلا سبيل لنا لمعرفة ذلك إلّا منهم أنفسهم، فهم الجهة الوحيدة التي يمكنها أن تخبرنا بأنَّ ما صدر منهم كان عن التفات أو نسيان أو سهو.

لكن هذا لازمُه عدم القطع بما يقولون؛ لاحتمال أنّ ما ذكروه لنا

(١) سنن الترمذي، ج٣، ص٢٤١، وحسّنه، ومجمع الزوائد، ج٩، ص١٧، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن؛ والأدب المفرد، ص٦٦.
(٢) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ج٦، ص١٠٨.

هـو خطـأ وسـهو أيضـاً، لفـرض عـدم القـول بعصمتهـم، فـلا يكـون لنـا اطمئنـانٌ بأقـوال الأنبيـاء مطلقًـا.. فكيـف نحـلّ هـذه المعضلـة؟!

لا طريـق أمامنـا سـوى القطـع بعصمتهـم مـن كلّ ذلـك، وبـه يثبـت المطلـوب.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله، وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



## المرادُ من توبة اللّه على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

السائل: مقدم زبن العلياوي

السؤال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

كيف يكون النبيّ معصومًا عصمةً مطلقة، والله بالقرآن يقول: لقد تاب الله على النبي صلى الله عليه وسلم؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا شكَّ، ولا ريبَ أنّ النّبيّ معصومٌ من الذنوب بالعصمة المطلقة، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إلى آخر الآية .. لا يعني أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد ارتكب ما يستوجب التوبةَ منه، إذ لا يوجد في معنى

(١) التوبة:١١٧.

الآية أثرٌ للزلل أو المعصية، فهي تحصر الانحرافَ عن طريق الحق والتخلف عنه بجماعةٍ من المؤمنين، مع أنّها تصرِّح بأنّ الرحمة الإِلهية تعمّ الجميع، وهو بنفسه يبيّن أنّ توبة الله هنا ليست بمعنى قبول عُذر العباد، بل هي الرحمة الإِلهية الخاصّة التي أدركتِ النّبي ﷺ وكلَّ المؤمنين بدون استثناء في اللحظات الحساسة، وثبّتت أقدامهم في أمر الجهاد[١].

وهي كما في قوله تعالى في سورة النساء بعد ذكر قسمٍ من الأحكام: ﴿يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، ففي هذه الآية والتي قبلها لم يرِد حديثٌ عن الزلل والمعصية، بل الكلام عن تبيين الأحكام والإِرشاد إِلى سنن الماضين القيِّمة المفيدة، وهذا بنفسه يوضح أنّ التوبة هنا بمعنى شمول رحمة الله سبحانه لعباده.

وكذلك المعنى في قوله تعالى عقيب ذكر القتل الخطأ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ الله﴾[٣]، حيث أن الذي يقتل خطأً لم يرتكب معصيةً يَلزمُه التوبةُ منها، فيكون معنى التوبة هنا التخفيف، وهو من مصاديق رحمة الله ورعايته لخلقه، قال القرطبي في تفسيره للآية: «يعني تخفيفًا؛ لأن القاتل خطأ لم يفعل شيئًا تلزمه

(١) يُنظر: تفسير الأمثل، ج٦، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٢) النساء: ٢٦.
(٣) النساء: ٩٢.

التوبةُ منه»، ثم عرّج على بيان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، فقال: «وإنْ لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ما يوجب التوبةَ منه»[(١)].

هذا، وقد ورد في كتب اللغة أنّ أحد معاني التوبة الصحيح هو رجوعُ الله تعالى بالرحمة والرعاية على عباده، فقد جاء في "القاموس المحيط": «وتاب الله عليه: رجع عليه بفضله وقبوله، وهو توّابٌ على عباده»[(٢)].

وقال ابن عطيّة في "المحرَّر الوجيز": «التوبة من الله رجوعُه بعبدِه من حالةٍ إلى أرفع منها... وهذه توبته في هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وسلم»[(٣)].

فمعنى توبةِ الله سبحانه رجوعُه بالرحمة والرعاية على عباده، قال الزركشي: «التوبة لغةً: الرجوع، ولا يلزم أن تكون عن ذنبٍ، وعليه يُحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - إني لأتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة»[(٤)].

وها هو الخطيب الشربيني يوضِّح بأنّ معنى توبة الله على نبيِّه في الآية لا تعني صدور ما يستلزم التوبة من النبيّ ﷺ، ناقلًا جواب

(١) تفسير القرطبي، ج٢، ص٣١٧.
(٢) القاموس المحيط، ص٦٢.
(٣) المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٣، ص٩٢.
(٤) المنثور في القواعد الفقهية، لبدر الدين الزركشي، ج١، ص٤١٣.

أحد أكابر القوم، فقال: «سُئل بعض أكابر القوم عن قوله تعالى ﴿لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ﴾ من أيِّ شيء؟ فقال: نبَّه بتوبة مَن لم يذنب على توبةِ مَن أذنب»[١].

وقال الكيا الهراسي في "أحكام القرآن": «وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، وإن لم يكن من النبيِّ عليه السلام ما يوجب التوبة منه»[٢].

ومما تقدم يتضح أنْ لا ملازمة بين التوبة وارتكاب المعاصي، الأمر الذي شُبّه للسائل بوجودها بينهما، والواقع أنه لا دليلَ على وجود ذلك التلازم، فقد تكون التوبة مسببةً عن ارتكاب المعاصي، وقد تكون مسببةً عن ترك أمرٍ مستحب أو فعلٍ مكروه، وقد تكون مسببةً عن شعورٍ بالتقصير في طاعة وعبادة، إذن فليس كلما ذكرت توبة فهي مسببة عن فعل معصية وارتكاب مأثم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني، ج٢، ص٥٤٣.
(٢) أحكام القرآن للكيا الهراسي، ج١، ص٧٢.

## لا إبهامَ ولا غموضَ في آيات القرآن الكريم

المستشكل: رائد شكيب

الإشكال: القرآن يقول بصريح العبارة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فعلى هذا يكون القرآن مبهماً غيرَ مفهوم وغامضاً غير واضح المعاني إلا لمن يعلمه، فكيف يكون لكل المسلمين، وكيف يكون تبياناً لكل شيء، وإنه مبين؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

كلّ آيات القرآن الكريم واضحةٌ وبيّنة بالمعنى العام، أي حتّى الآيات المتشابهات التي يكون معناها مجملًا، يتردد بين أمرين أو أكثر، قد جعل لها القرآن الكريم مرجعيةً واضحة، وهي العودة بها إلى الآيات المحكمات لفهمها، فقد عُدّت الآيات المحكمات هنّ أصل



الكتاب ومرجعيته في فهم العقائد والأحكام، وسمّاهنّ "أمّ الكتاب"، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(١).

فالآيات المحكمات أصل الكتاب؛ لأنّ معنى الأم هو الأصل، وأيضًا جعل مع مرجعية الأصل مرجعيةً ثانية هي مرجعية الراسخين في العلم، الذين سمّاهم في آيات أخرى منه بأهل الذكْر، حيث يقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، وهذا التنوُّع القرآني من جعل المُحكم والمتشابه، ثمَّ جعل مرجعية المتشابه العودة إلى المحكم والعودة الراسخين في العلم، الهدف منه السيطرة على بيان القرآن وعدم تلاعب أهل الأهواء والرغبات فيه بأن يفسّرونه على أهوائهم كما يشاؤون، فيحرّفون أحكامه ومعانيه، فهي إشارة واضحة إلى أنّ هناك قواعد ومناهج معينة على طالب الحقّ أن يسلكها، وإلّا ضلّ عن سبيله، مع إعطاء مساحةٍ كبيرة للآيات المحكمة الواضحة التي يتمكن كلّ الناس من فهمها لوضوحها، والإبقاء على تلك المساحة الضيّقة بيَد الراسخين في العلم حتّى لا تكون مرجعية الدين عند كلّ أحدٍ، بل هي لأهل الاختصاص فقط، وهم النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه، وهم العترة المطهَّرة، الذين أشار

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) النحل: ٤٣.

إليهم في حديثه الصحيح المتضافر: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

وقد أفاض النبي ﷺ وخلفاؤه المعصومون علينا بعشرات الآلاف من الأحاديث المبيّنة لمعاني القرآن، بل أحكام الشريعة كلّها، فلم يعد عندنا شيءٌ يعسر علينا تفسيره أو بيانه من آيات القرآن الكريم، وهذه تفاسير المسلمين بالعشرات ما تركت شاردة وواردة من آيات القرآن الكريم إلّا وأوضحتْها.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج١، ص٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرناؤوط.

## معنى الحديث القدسي واختلافُه عن القرآن

السائل: أبو مريم الحلي

السؤال: هل يمكن توضيح معنى الحديث القدسي؟ وهل هو كآيات القرآن؟ وبماذا يختلف عن آيات القرآن الكريم؟ وشكرًا لكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الحديث القدسي، هو نمطٌ من الكلام، ينسبه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله سبحانه وتعالى، كأنْ يقول: قال الله، أو: يقول الله عزّ وجل، أو يأتي بطريقة الحكاية عن الله، كهذا الحديث القدسي الذي يقول: «كلّ عملِ ابنِ آدمَ له إلّا الصوم، فإنّه لي، وأنا أجزي به»[١].

(١) الكافي، ج٤، ص٦٣.

وهـذه الأحاديـث في الغالـب هـي أحاديـث إرشـادية وعظيـة، لا تتضمـن أحكامًـا شرعيـة.

فمثـل هـذا البيـان يسـمّى حديثًـا قدسـيًّا، وهـو الـذي يمكـن القـول فيـه -عـلى أحـد الأقـوال- بـأنّ المعـاني مـن الله، والصياغـة مـن النبـيّ ﷺ، مـع وجـود قـولٍ آخـر، يقـول بأنّـه -لفظًـا ومعنـىً- مـن الله عـزّ وجـل.

ويختلف الحديث القـدسي عـن القـرآن الكريـم اختلافًـا كثـيرًا في عـدّة أمور:

**أولًا:** أنّ القـرآن الكريـم هـو محـلّ التحـدي بالإتيـان بمثـل ألفاظـه وبياناتـه، وليـس الحديـث القـدسي كذلـك، فـإنَّ بلاغـة القـرآن متميـزةٌ كثـيرًا عـن بلاغـة الحديـث القـدسي وطريقـة تعبـيره.

**ثانيًـا:** أنَّ القـرآن ثبـت بالتواتـر عنـد المسـلمين جميعهـم، فهـو قطعـيُّ الصـدور، بينـما الحديـث القـدسي ثبـت مـن أخبـار الآحـاد ليـس غـير.

**ثالثًـا:** طريقـة عـرض القـرآن الكريـم تختلـف كليًّـا عـن طريقـة الحديـث القـدسي، فالقـرآن الكريـم يشـتمل عـلى جملـةٍ مـن السـور التـي تشـتمل عـلى جملـةٍ مـن الآيـات التـي تشـتمل عـلى أحـكامٍ مختلفـة في شـتى الأمـور، بينـما الحديـث القـدسي هـو عبـارة عـن فقـرات مـن الكلـمات الوعظيّـة التـي تتنـاول موضوعًـا معينًـا بطريقـة التنبيـه والإرشـاد.



## الاختلاف بين الناس سُنّة إلهية وحكمة ربانية

السائل: سلام عمرو

السؤال: ما نظرة الإسلام حيال الاختلاف الموجود بين الناس في الأديان والمذاهب؟ وما حلوله وضوابطه؟ ترى هل شرع لهم الاختلاف والتفرُّق، وإذا لم يشرع ذلك فما هي نظريته؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الاختلاف بين الناس في العقائد والاتجاهات والميول والأشكال والألوان سنّة إلهية وحكمة ربانية صرّح القرآن الكريم بها حين يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1].

(١) هود: ١١٨و١١٩.

وقد سنّ المولى سبحانه لعباده المؤمنين أسس التعايش مع غيرهم، فبيّن أنّ الأساس في المجتمع البشري هو التعارف والتفاهم، وليس الحرب والتنافر، فقال عزّ من قائل: ﴿ياأيّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

وعند دعوة الآخر إلى العقيدة، فقد أمر سبحانه بأن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢].

وقد أمر سبحانه ببر المخالف للمسلمين في الدين والعقيدة وبالتعامل العادل معهم، فقال عز من قائل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣].

وكان النهي عن التواصل والبر مقتصرًا على أهل الحرب والعداوة والظالمين للمسلين فقط، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤].

---

(١) الحجرات:١٣.
(٢) النحل:١٢٥.
(٣) الممتحنة: ٨.
(٤) الممتحنة: ٩.

وأَنعِم النظر في قوله تعالى، وهو يحكي قول نبيّه شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[(١)].

فهنا تجد بشكل واضح وصريح دعوة نبيّ الله شعيب عليه السلام للتعايش بين قومه، سواء اتفقوا جميعاً على قول واحد أو اختلفوا في ذلك، فالصبر على هذا الاختلاف وإيكال أمره إلى الله سبحانه وعدم إعلان حرب الإبادة للآخر هو من أجلى المعاني التي تصدع بها هذه الآية الكريمة.

وهكذا تجد غير هذه الآيات العشرات من الآيات الكريمة التي تحثّ على التعايش والسلم بين المختلفين ونبذ التنابز والتقاطع والتدابر، إلا في حالات محدودة هي حالات الاعتداء والظلم، التي أذن المولى سبحانه للمؤمنين بالردّ على من يعتدي عليهم ويظلمهم حتى لا يطمع في التجاوز عليهم أكثر من ذلك، فإنّ العزّة لله ورسوله والمؤمنين.

وفي السنّة النبوية نجد التشديد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من يظلم معاهدًا أو ذميًّا أو ينتقصه، فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ألاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أو انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

---

(١) الأعراف: ٨٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٧٢٩.

وهذا العدل والتسامح والإنصاف ورثه أئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطبّقوه في حياتهم عمليًّا، فقد حكي بأنّ عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام افتقد درعًا كانت عزيزةً عنده، فوجدها عند يهودي، فقاضاه إلى قاضيه شريح، وعليٌّ يومئذٍ هو الخليفة والحاكم للبلاد، فسأل شريح أمير المؤمنين عن قضيته، فقال: الدرع درعي، ولم أَبِع، ولم أهب، فسأل شريح اليهودي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فرد هذا متلاعبًا: الدرع درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب – يريد أن يمسك العصا من منتصفها– فالتفت شريح إلى أمير المؤمنين: هل من بينة؟!. فلم يظهر أمير المؤمنين عليه السلام شهودًا له سوى دعواه بأنّ الدرع له، فحكم شريح بالدرع لليهودي لعدم وجود البيّنة، فأخذ الرجل الدرع، ومضى، وهو لا يكاد يصدّق نفسه، ثمّ عاد بعد خطوات ليقول: يا الله.. أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه؟!. إنّ هذه أخلاق أنبياء.. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله. الدرع درعك يا أمير المؤمنين، خرجتَ من بعيرك الأورق، فاتبعتها، فأخذتها. فقال له عليّ عليه السلام: أمَّا إذا أسلمت فهي لك![1].

وبهذه الأخلاق الرفيعة والسجايا العالية نفسها جاءتنا الوصايا من أئمة أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع من يخالفنا في الدين أو العقيدة.

فقد روى الكليني في الصحيح، عن معاوية بن وهب، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين

(١) انظر: رجال أنزل الله فيهم قرآنًا، العريفي، ص٣٩.

قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال: تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[١].

وفي الصحيح عن عبد الله بن سنان، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أُوصيكم بتقوى الله، ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلّوا، إن الله عزّ وجل يقول في كتابه: (وقولوا للناس حسنًا) ثم قال: عودوا مرضاهم، واحضروا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلّوا معهم في مساجدهم»[٢].

وعن معاوية بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «وطّن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت، في حسن خلقك، وكفّ لسانك، واكظم غيظك، وأقلّ لغوك، وتغرس عفوك، وتسخو نفسك»[٣].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٥، ح١.
(٢) المصدر السابق، ص٧، ح٦.
(٣) المصدر السابق، ص٩، ح٢.

## الاعتقاد بالإمامة شرطُ الإيمان

السائل: سعاد الجبوري

سؤال: قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، هل الإيمان يختلف عن الإسلام؟ وهل الاعتقاد بإمامة أهل البيت من الإيمان أو الإسلام؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

المراد من الإسلام عند اجتماع اللفظتين معًا (الإسلام والإيمان) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١]، هو النطق بالشهادتين، فمن نطق بالشهادتين، ولم ينكر ضروريًّا من ضروريات الإسلام

---

(١) الحجرات: ١٤.

-كوجوب الصلاة والصوم ونحوهما- فهو مسلم يحرُم مالُه وعرضه ودماؤه إلّا بحقها.

حيث إنّ لفظتي (مسلم ومؤمن) من الألفاظ التي إذا ذكر أحدهما منفردًا شمل كليهما، وإذا ذكرا معًا كان لكلّ منهما معنى في قبال الآخر، ذلك أنّهما كالظرف والجار والمجرور: (إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا)، والنسبة بينهما هي نسبة العموم والخصوص المطلق، فكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمنًا.

وأمّا الإيمان فهو التصديق والعمل بكل ما ثبت في الشريعة، أي قبول النفس لذلك والإذعان له، على ما هو تفسير التصديق في المنطق عند المحقّقين[(١)].

وأضاف بعض: الإقرار[(٢)].

وقال ثالث - وهو المنقول عن الشافعي -: «الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل»[(٣)].

والدليل على كون الإيمان هو التصديق بالجنان، هو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[(٤)]، الدال على أنّ الإيمان موضعه القلب، وكذا قوله تعالى في سورة الحجرات ذاتها: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ

(١) ينظر: المواقف، للإيجي، ج٣، ص٥٢٧؛ وشرح المقاصد، للتفتازاني، ج٢، ص٢٤٧.
(٢) انظر: عمدة القاري، للعيني، ج١، ص١٠٩.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٠٤.
(٤) المجادلة:٢٢.

**الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**[١].

وقد وردت عندنا جملة من الروايات الشريفة التي تبين التغاير بين صفتي الإيمان والإسلام، وتضفي صفة الإيمان على المعتقد بإمامة أهل البيت عليهم السلام، وقد صرّح الشيخ الأنصاري قدّس سرّه في كتابه "الطهارة" بأنّها تفيد التواتر المعنوي، حيث قال: «عقد ثقة الإسلام في الكافي بابًا لذكر الأخبار الدالَّة على تغاير الإسلام والإيمان، ولا يبعد دعوى تواترها المعنوي:

منها: رواية ابن أبي عمير عن الحكم بن أيمن عن القاسم الصيرفي عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال: الإسلام يُحقن به الدم، وتؤدّى به الأمانة، وتستحلّ به الفروج، والثواب على الإيمان)، وبمضمونها حسنة فضيل بن يسار، وصحيحا أبي الصباح الكناني وحمران بن أعين.

ورواية سفيان السمط عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، والإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإنْ أقرّ بها، ولم يعرف هذا الأمر كان مسلمًا ضالًّا).

ورواية ابن محبوب عن جميل بن صالح عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان، قلت:

---

(١) الحجرات: ١٤.

فصفهما لي، قال: إنّ الإسلام: شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان: الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإيمان وما ظهر من العمل).

وصحيحة حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام، فيها: (أنّ الإيمان: ما استقرّ في القلب وأُفضي به إلى الله تعالى، وصدّقه العمل بطاعة الله والتسليم لأمره، والإسلام: ما ظهر من قولٍ أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها).

وفي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، المرويّة عن باب ارتداد الصحابة، وفيها قوله عليه السلام: (وأمّا من لم يصنع ذلك، ودخل في ما دخل فيه الناس على غير علمٍ ولا عداوةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ ذلك لا يكفّره، ولا يخرجه عن الإسلام إلى الكفر) إلى غير ذلك من الأخبار»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) كتاب الطهارة، ج٥، ص١٢٥.

## الفِرقة الناجية.. مَن نتّبع؟ ومَن نترك؟

المستشكل: أيمن عيسى

الإشكال الأول: قد ورد في بعض طرق حديث الفرقة الناجية هذه العبارة: (ما أنا عليه وأصحابي) (كما في "أحكام القرآن" لابن العربي ٣: ٤٢٣: «افترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة. قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»)، فأهل السنّة والجماعة يتابعون ما عليه الصحابة، فهم الفرقة الناجية.

الإشكال الثاني: الفِقرة الثانية من حديث الفرقة الناجية، وهي التي تقول: (وهي الجماعة) (كما في صحيح ابن ماجة -للألباني- الحديث رقم٣٢٤٢: إنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإنّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة، وهي الجماعة)، وواضح أن المراد بالفرقة الناجية هم أهل السُّنة والجماعة.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

جواب الإشكال الأول:

هذه الدعوى فيها مغالطة واضحة، فالعبارة تقول: (ما عليه أنا وأصحابي)، فهي تتحدث عن حالة الوفاق زمن رسول الله ﷺ، لا عن حالة الاختلاف التي حصلت من بعده، ومن الطبيعي جدًّا أنّ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه في زمانه هو هذه الأحاديث الحقّة الصادرة عنه، ونحن هنا جئنا نتلمس الحقّ والطريق إلى الفرقة الناجية من هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة الصادرة عن النبيّ ﷺ، لا من الأفعال والأقوال المتناقضة المختلفة التي وصلت إلى حد الاقتتال بين الصحابة بعد رسول الله ﷺ، كما هو المعلوم والمشهور عن واقعهم وأفعالهم!

فهناك العشرات من الأمور التي اختلف فيها الصحابة بعد رسول الله ﷺ، ووصلوا في بعضها إلى حدّ الاقتتال بينهم، فمَن نتّبع؟ ومن نترك؟ وبأيّ دليل وحجة؟!

هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية: مَن هي الفرقة الناجية مِن أهل السُّنّة والجماعة؟!

هل هي فرقة الأشاعرة كما يقول الإيجي في "المواقف"[(١)]، والحال هي فرقة ضالة ومبتدعة عند السلفية، كما يصرّحون بذلك[(٢)].

أو هي مطلق فِرَق أهل السنّة والجماعة، كما يقول المناوي في "فيض القدير"[(٣)]، وكما يذكر الذهبي في "سير أعلام النبلاء" تكفير أبي حاتم لمن ليس حنبليًّا[(٤)]، ويوجد غير هذا الكثير بينهم؟!

فالإشكال بهذه الفقرة لا محصّل علميّ له البتة!

جواب الإشكال الثاني: ليس المراد بهذه الفقرة أهل السُّنّة والجماعة جزمًا؛ لأنّ هذا الاسم ظهر متأخرًا عن الأحاديث النبوية بمدة طويلة، وإنّما المراد بالجماعة في هذا الحديث جماعة الحقّ وإن قلّوا.

قال الترمذي: «وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث»[(٥)].

---

(١) ينظر: المواقف، ص٤٢٩.
(٢) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج٣، ص٢١٠-٢١١.
(٣) ينظر: فيض القدير، ج٢، ص٢٠]، والحال أنّ هذه الفرق يضلّل بعضهم بعضًا، ويكفّر بعضهم بعضًا كما ينقل الخطيب البغدادي في تاريخه تضليل الإمام مالك لأبي حنيفة. [ينظر: تاريخ بغداد، ج١٥، ص٥٥٢].
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٢٥]، وكما ينقل الألباني في "معالم المنهج السلفي" تكفير الحنفية للشافعية [ينظر: معالم المنهج السلفي، ص٣٦.
(٥) سنن الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة، الحديث ٢٠٩٣.

وقال الألباني: «وهذا المعنى مأخوذ من ابن مسعود: الجماعة ما وافق الحقّ وإن كنت وحدك، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣ / ٣٢٢ / ٢)، بسند صحيح»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) حاشية مشكاة المصابيح، ج١، ص٦١.

## القرآن كلام الله وليس نتاجًا بشريًّا

المستشكل: راجح إسماعيل
الإشكال: بأي دليل تستدلون على أن القرآن كلام الله المنزل على رسول الإسلام، وليس من تأليفه؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

نستدل أولًا: بعجز البشرية عن الإتيان بمثل القرآن:

فلو افترضنا أنّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم ليس نبيًّا مرسلًا من عند الله، وأن القرآن ليس منزلاً من الله، ولا يعدو كونه من تأليفه، وعلى هذا الفرض يتحتم أن يكون غيره قادرا على أن يأتي بأحسن منه أو مثله على الأقل، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مهما بلغ يبقى بشرًا، وما جاء به من تأليف فهو نتاج بشر واحد، فأكيدًا أنه سيكون هناك جماعة من البشر لها نتاجات

تفوق نتاجه وتفضل عليه.

وعند عدم وجود فرد واحد من تلك الجماعة، له نتاج يفوق ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويَفْضله، على امتداد التأريخ، وعبر القرون والأحقاب وحتى يومنا هذا، يتيقن كل عاقل أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعجزت البشرية عن الإتيان ولو بمثل آية من آياته، أنه من خالق البشر لا من البشر، ولا يماري في ذلك إلا من يهمل عقله، ويسقط من حساب المفكرين.

وها هو القرآن كان وما يزال معلنا تحديه للبشرية جمعاء منذ أربعة عشر قرنًا وحتى يومنا هذا، مبتدئًا بأهل اللغة والفصاحة البلغاء من قريش على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقدم صيغ التحدي بألفاظ عجيبة وأسلوب فريد، فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

ثم تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله بأن يأتوا بعشر سور من مثله، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

ثم تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بعشر سور أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا

(١) الإسراء: ٨٨.
(٢) هود: ١٣.

فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١].

هذا هو أسلوب التحدي، الذي انتهجه القرآن مع من يدّعي أنه نتاج بشري، وأنه من تأليف محمد ﷺ، الأمر الذي يجعلهم مجبرين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو يسلموا بإلاهيته إن كانوا طلاب حق، وإلا كانوا مكابرين معاندين ليس إلا، كما هو حال أغلب الكفار.

ومن الثابت والمعروف أن كفار قريش أهل لسان عربي فصيح، وعلى رغم ذلك لم تسعفهم تلك القدرات من الفصاحة والبلاغة، حتى عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، ولو بسورة واحدة، ولو كانوا قادرين على الإتيان بشيء وإن كان لا يماثله ويدانيه، لما توانوا عنه أبدًا، ولجأوا به من فورهم لصد الناس عن اتباع القرآن، بل لم يجرؤ أحد منهم على التفكير بالمحاولة، ولو كان لبان؛ لأنه مما تتوافر الدواعي على نقله.

وأما أهل عصرنا هذا لا سيما أهل الإلحاد فهم بلا شك يجهلون لسان العرب فصاحة وبلاغة، ولذلك لا يدركون فصاحة القرآن وبلاغته، ومن المضحكات المبكيات أن أحدهم يعتقد أنه إذا نظّم سجعًا فقد أتى بمثل القرآن، والحق أنه إنما كشف عن جهله بلسان العرب.

---

(١) البقرة: ٢٣-٢٤.

وعليه، فمع تحدي القرآن للعرب ووجود الدافع منهم للمعارضة والنقض والتشنيع، وانتفاء المانع ببلوغهم ذروة الفصاحة والبيان، لم ينقل عن أحد منهم أنه طعن في لغة القرآن، أو ادّعى وجود الخطأ والخلل فيه، بل غاية ما قالوا عنه: إنه سحر مفترى.

ونستدل ثانيًا: بإثبات سلامة القرآن من أي خطأ:

فلو افترضنا - أيضًا - أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو من ألّف القرآن، وأصبح القرآن نتاجًا بشريًّا، ولكنْ مع ملاحظة أن الكمال ليس من سمة البشر، بل الأصل فيهم الخطأ والزلل، فحتمًا لا بد من وجود الخطأ والخلل في القرآن بصفته نتاجًا بشريًّا، إلا أننا وجدنا أن القرآن الكريم قد بهر العرب ببلاغته، وقهرهم بفصاحته، فسلّم له أساطين البلاغة، وسجد له الفصحاءُ اللسُنُ، واعترفوا بعجزهم عن مجاراته، ولم يتمكنوا من العثور على أي خلل أو خطأ فيه، بل صاروا يَعرضون كلامهم عليه، ويسترشدون به، فجعلوه المعيار والحاكم لكلامهم حين رأوا أنه في أعلى درجات الدقة والرصانة..

ولو كانوا قد عثروا فيه على أي خللٍ أو خطأ لسارعوا إلى اظهاره، وتمسكوا به، ولما سبقهم إلى ذلك أحد، لا سيما، وقد كانت دواعيهم لذلك متوفرة، ولكن الذي حصل أنهم اعترفوا بإعجازه، وخضعوا لفصاحته وبلاغته.

وها هو القرآن الكريم مع طول الزمان، قد سمعه الموافق،

والمخالف، والعرب، والعجم، وليس في الأمم من أظهر كتابًا يقرأه الناس، وقال: إنه مثله، يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[(١)].

وقد تقول: إن قوله: ﴿وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، مشعرٌ بوجود الاختلاف القليل في القرآن، وعليه يبقى الإشكال قائمًا طالما أن هناك اختلافًا موجودًا لم يرتفع؟!.

نقول في الجواب عن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه وأسلوبه. وأفصح الفصحاء إذا تكلّم بكلام طويل تجد في كلامه أو أشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة. وأيضًا لا اختلاف في معانيه، ولا تناقض في مبانيه. ولو كان منتحلًا ومفترى لكثُر فيه التناقض والتضادّ، فإنّ الكاذب تخونه ذاكرته، ويبدو عوّاره.

٢ - قوله سبحانه: ﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، كلمة (كثيرًا) قيد توضيحي لا احترازي، فيكون معنى الآية الكريمة: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا، وكان ذلك الاختلاف كثيرًا على حدّ الاختلاف الكثير الّذي يوجد في كل ما هو من عند غير الله، ولا تهدف الآية إلى أنّ المرتفع عن القرآن هو الاختلاف الكثير دون اليسير.

---

(١) النساء: ٨٢.

٣ – أنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة، هو ما إذا كان حقيقيًّا في ظرف الواقع. أما إذا كان شكليًّا وفي ظاهر الأمر – كما بين الناسخ والمنسوخ – فلا تناقضه الآية إطلاقًا، مثلًا: يُشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمورٌ ثمانية، منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلف أحدها فلا تنافيَ، ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخر، وملاكه مصلحةٌ أخرى، تبدلت عن مصلحةٍ سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ، إذن فالتنافي بين الناسخ والمنسوخ بدوي ظاهري، أما بعد التعمق وملاحظة زماني نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الأولى ثم الثانية، فإن هذا التنافي والاختلاف يرتفع نهائيًّا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## علوم أئمتنا.. ما وُجد عند أوّلهم هو موجود عند آخرهم

المستشكل: وحيد العربي

الإشكال: عقيدتكم القاضية بانتقال العلم من الإمام السابق للإمام اللاحق لازمها أن تكون جميع أحاديث الأئمة ينتهي سندها إلى الحسن العسكري، وهذا لم نجده؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الكلام لا محصّل له بعد ثبوت أنّ علومهم عليهم السلام هي واحدة، فما وجد من علم عند أوّلهم هو موجود عند آخرهم، كما دلّت عليه الأحاديث الكثيرة المتضافرة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن

حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجل»[١].

وفي رواية جابر يقول: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا حدّثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدّثني أبي، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرائيل عليه السلام، عن الله عزّ وجل. وكل ما أحدّثك بهذا الإسناد»[٢].

وكذلك جاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله لجابر: «يا جابر، لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نفتيهم بآثارٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصولِ علمٍ عندنا، نتوارثها كابرًا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»[٣].

وفي حديث صحيح رواه الشيخ الكليني بسنده عن حمّاد بن خلف الكوفي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قلت: فرفع يده إلى السماء، وقال: والله ما أخبرك إلّا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرائيل عن الله عزّ وجل»[٤].

وهو ممّا يعترف به أهل السُّنّة في مروياتهم أيضًا، فقد روي ابن حجر في "التهذيب": «قيل لأبي بكر بن عياش: ما لك لم تسمع من جعفر، وقد أدركته؟ قال: سألناه عمّا يتحدث به من الأحاديث، أ شيء

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٣؛ الإرشاد، ج٢، ص١٨٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص١٧٨.
(٣) بصائر الدرجات، ص٣٢.
(٤) الكافي، ج٣، ص٩٤.

سمعه؟ قال: لا، ولكنها رواية رويناها عن آبائنا»[١].

وعليه؛ سواء ذكرت الأسانيد في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام أم لم تذكر فهي لا تؤثر في حجيّة أحاديثهم وثبوتها بالنسبة إلينا، لما أوضحناه من طبيعة هذه العقيدة، وكونها وحدة واحدة كما تقدّم بيانه.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) تهذيب التهذيب، ج٢، ص٨٨.

## ولايةُ العترة الطاهرة جزءٌ لا يتجزأ من الرسالة الخاتمة

السائل: جعفر الصادق

السؤال: طرح أحدُ المخالفين إشكالًا حول الإمامة، مفادُه:

أن الشيعة يقولون: إن آية التبليغ نزلت لأمرِ النبيِّ بالإبلاغ بولاية عليٍّ، وقال الله له: فإن لم تفعل فما بلغت رسالتك، وهذا يعني أن كل الأدلة السابقة لم تكن إبلاغًا بالإمامة؛ لأنها لو كانت إبلاغًا لما قال الله له: إنه ما بلّغ رسالته لو لم يبلِّغ الآن؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

**أولًا:** لا يُشكِل بهذا الكلام إلا مَن أهمل عقلَه، وأسقط نفسه من حساب المفكِّرين؛ إذ لو افترضنا جدلًا -ولا نسلِّم- أنّ الآية لم تنزل في خصوص التبليغ بإمامة عليٍّ عليه السلام وولايته، وإنما هي مختصةٌ بتبليغ

الرسالة - كما هي عقيدة المخالف - أي بسائر الأوامر الشرعية، من قبيل الأمر بالصلاة والأمر بالصيام والأمر بالحج والأمر بالزكاة إلى غير ذلك من الأوامر والأحكام الشرعية.. فعلى هذا المعنى فإنّ لنا أن نُشكِل على المخالف بإشكاله نفسه، ونقول:

إن كانتِ الآية تقول: يا أيها النبي بلِّغ ما أُنزل إليك من الأوامر الإلهية، وإذا لم تبلِّغ هذه الأوامر، فما بلغت رسالة ربك!! هذا مع ملاحظة أنّ الآية جزءٌ من سورة المائدة التي نزلت قبيل وفاته ﷺ وهي آخر ما نزل من القرآن، أو على الأقل من آخر ما نزل منه.. فهل كلُّ الأدلة السابقة على نزول آية التبليغ منذ بعثته ﷺ إلى يوم نزول هذه الآية، لم تكن تبليغًا بالرسالة لأجل أن الآية قالت: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟!!

فهل فعل الرسول ﷺ وبلَّغ رسالة ربه المشتملة على سائر الأحكام الشرعية قبل نزول هذه الآية أو لم يفعل؟!

جزمًا وحتمًا سيكون جواب المخالف، بل جواب كل مسلم عاقل بالغ: أن النبي ﷺ قد بلَّغ جميع ما أُنزل إليه من الأوامر الإلهية قبل نزول هذه الآية، لا سيما أنها نزلت في أخريات حياته ﷺ، الأمر الذي لا يختلف عليه اثنان.

وهنا يوجَّه هذا السؤال إلى المخالف:

إن كان النبي ﷺ قد بلَّغ جميع ما أُنزل إليه من الأوامر الإلهية

وسائر الأحكام الشرعية قبل نزول هذه الآية، فما معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟!!

من المؤكد أن المخالف ومَن على شاكلته سيجد جوابًا، هو ليس إلا تحكمًا محضًا، لا حاصل وراءه.

**ثانيًا:** أن الآية لم تقل: بلِّغ ما سوف ينزل إليك؛ لأنّ الله هو الذي أنزله؛ لأن الفعل الماضي "أُنزل" هنا حقيقيٌّ على أصله، ولا قرينة تصرفه إلى المستقبل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، لأن ما أُمر بتبليغه مكملٌ للرسالة وضامنٌ لكلّ ما بلّغه سابقًا، فولاية عترته صلى الله عليه وآله وسلم من بعده ليست أمرًا شخصيًّا كما يظنّها المنافقون، بل جزءٌ لا يتجزأ من هذه الرسالة الخاتمة الموحدة، وإذا انتفى الجزء انتفى الكلّ، وبدونها تبقى الرسالة ناقصة.

ومن يرجع إلى كتب الحديث والتاريخ يجدها طافحة بالنصوص والآثار الثابتة، والصحيحة، الدالة على إمامة علي أمير المؤمنين عليه السلام، ولسوف لا يبقى لديه أدنى شك في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يألُ جهداً، ولم يدخر وُسعاً في تأكيد هذا الأمر، وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعلُّلات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان، وفي مختلف الظروف والأحوال، على مر العصور والدهور.

وقد استخدم في سبيل تحقيق هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب

التعبيرية، وشتى المضامين البيانية: فعلًا وقولًا، تصريحًا، وتلويحًا، إثباتًا لجانبٍ ونفيًا لجانبٍ آخر، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك مما يكاد لا يمكن حصره، في تنوعه، وفي مناسباته.

وقد توّجت جميع تلك الجهود المضنية والمتواصلة باحتفالٍ جماهيري عامٍّ نَصب فيه النبي ﷺ رسميًّا عليًّا عليه السلام بعد انتهائه ﷺ من حجة الوداع في مكان يقال له: «غدير خم»، وأخذ البيعة له فعلًا من عشرات الألوف من المسلمين، الذين يرون نبيهم للمرة الأخيرة[1].

**ثالثًا:** إنْ قلت: إنّها نزلت في أوّل البعثة، وإنّ النبي صلّى الله عليه وآله خاف أن يبلغ رسالة ربّه فهدّده الله تعالى وطمأنه، كما هو قول ابن كثير وغيره من أعلام أهل السنة[2].

قلنا: على هذا فالآية ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ**﴾، تكون أول أدلة تعيين الإمام علي عليه السلام خليفةً من بعد النبي ﷺ؛ إذ لا يصحّ أن يكون تمّ تبليغ ذلك وإلّا لما صحّ قوله: ﴿**وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ**﴾، ثم تلت ذلك الأدلة تترى على خلافته وإمامته في مواطن عدة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) ينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، للعاملي، ج٣١، ص١٢٤.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ج٣، ص٥٣؛ والسيرة النبوية، ج١، ص٤٦٠>

## مشيئةُ الله لا تتعارض مع تنصيب الإمام

السائل: أبو رائد عيسى الميالي

السؤال: يطرح بعضُ المخالفين هذا الإشكال: إن كان لأئمتكم الاثني عشر ولاية تكوينية تخضع لسيطرتها جميع ذرات الكون، فلماذا تعارضت مشيئة الله مع التنصيب المدعى والولاية التكوينية، فعاشوا مضطهدين من قبل الحكام، وقتلوا مظلومين مقهورين؟! نرجو منكم الرد الوافي.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

المستشكل هنا فسر المشيئة الإلهية بالجبر، الأمر الذي أوقعه في هذه الشبهة؛ لأن مشيئة الله سبحانه في أفعال عباده لا تكون بنحو الجبر مطلقًا؛ لكون ذلك يقتضي منافاة الاختيار في التكليف، فينتفي تبعًا له قانون الثواب والعقاب الذي شرّعه الله سبحانه نتيجة التكليف

المذكور، حيث يقبُح من المولى سبحانه أن يشرّع الأحكام، ويسنّ السنن، ثمّ يأتي للعباد بما ينافيها.

فالمولى عزّ وجلّ كلّف عباده تخييرًا، فقال عزّ من قائل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[(٢)]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[(٣)].

فإذا منح اللهُ سبحانه نبيًّا أو إمامًا منصَّبًا من قِبله الولايةَ التكوينية والقدرة على التحكّم في الظاهرة الكونية، كما في منح القدرةَ لنبيّه سليمان عليه السلام على التحكّم بالريح، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾، أو التحكّم بالمعادن كالنحاس كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[(٤)] وغير ذلك من القدرات التي منحها الله سبحانه لغير مَن ذكرنا من أنبيائه وأوليائه، فهل يصحّ من المولى سبحانه - بعد هذا - أن يُجبِر الناس على الإيمان بنبوّته، ويسلب الاختيار منهم؟!

إن قال المستشكل: لا، بطل إشكاله من أساسه.

---

(١) البقرة:٢٥٦.

(٢) الكهف:٢٩.

(٣) الإنسان:٣.

(٤) سبأ:١٢.

وإن قال: نعم، فقد كفر بالقرآن الكريم الذي يقول: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(١)، وكذلك كفر بقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٢)، ونحو ذلك العشرات من الآيات الدالة على أنّ الإنسان مختارٌ في إيمانه وكفره، ولا يوجد جبرٌ من الله في أفعال الإنسان.

وعن قول المستشكل: (إن كان لأئمتكم ولاية تكوينية... فلماذا عاشوا مضطهدين من قبل الحكام، وقُتلوا مظلومين مقهورين).

يُجاب: الولاية التكوينية أمرٌ قد صدح به القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة منه، ذكرنا بعضها في ما يتعلّق بنبي الله سليمان عليه السلام، ومنح هذه القدرات أيضًا لغيره من الأنبياء والأولياء، وهي سواءٌ سُميت معاجزَ أو كراماتٍ أو غير ذلك، فهي كلّها بمعنى واحد، إذ تفيد التصرّف بالظاهرة الكونية بخلاف نظام العليّة المتعارف.

فالولاية التكوينية هي قدرة إعجازية يمنحها المولى سبحانه لأنبيائه وأوليائه، وتكون بإذنه وإرادته، وهي ليست تصرفًا مستقلًّا من الأنبياء والأولياء، بل هي قدرة إعجازية تمنح منه سبحانه لإثبات نبوة أنبيائه وبيان فضلهم، كما في قوله تعالى حكايةً عن نبيه عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله﴾(٣)، فهو بالنتيجة خلقُ الله، ولكن بواسطة عيسى عليه السلام.

---

(١) الكهف:٢٩.
(٢) البقرة:٢٥٧.
(٣) آل عمران:٤٩.

ومن الأولياء والأوصياء الذين منحهم الله سبحانه هذه القدرة آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى﴾[١]، فالآية صريحةٌ في أنّ سليمان عليه السلام طلب ممّن خصّهم بالخطاب الإتيان بعرش بلقيس في لحظات، مع علمه عليه السلام بالمسافة الشاسعة بين اليمن الذى هو مكان عرش بلقيس، وبين فلسطين التي كان فيها سليمان عليه السلام، فقام إليه الذى عنده علمٌ من الكتاب، وهو آصف بن برخيا وصيّ سليمان ووزيره، وجاء بذلك العرش بأقلّ من طرفة عين، ولا شكّ أنّ صدور هذا الفعل منه يكشف عن قدرته على التصرّف في التكوين.

فهذه القدرات الممنوحة للأئمة المعصومين عليهم السلام، كما هي ممنوحة للأنبياء في هذا الجانب، هي مشروطة بأن لا تكون في المجال المنافي لسلب الاختيار من الناس في التكليف، وقد أشار ابن تيمية إلى هذا المعنى في كتابه "منهاج السنة" من أنّ تنصيب الأئمة لا يعني أن يكون عند الإمام سيفٌ يحارب به الناس ليجبرهم على طاعته، بل جعله بحيث يجب على الناس اتباعه، سواء أطاعوه أم عصوه، حيث قال: «قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢]، وقد قال تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(١) النمل: ٤٠.
(٢) السجدة: ٢٤.

**إِمَامًا**﴾[١]، ولم يكن بأن جعله ذا سيف يقاتل به جميع الناس، بل جعله بحيث يجب على الناس اتباعه، سواء أطاعوه أم عصوه»[٢].

فابن تيمية هنا ينفي الجبر مع التنصيب الإلهي للنبوة أو الإمامة.

والولاية التكوينية قد تمنح للمتقين أيضًا من الناس تفضلًا منه سبحانه، كما هو مقتضى الحديث الصحيح الوارد في البخاري وغيره: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه»[٣]، ورواه بلفظه ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي، الحديث السابع، بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن جده رسول الله صل الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل[٤].

وقال ابن تيمية في كتابه "النبوات": «فإذا كان آية نبي إحياء الله الموتى لم يمتنع أن يحيي الله الموتى لنبي آخر أو لمن يتبع الأنبياء، كما قد أحيى الميت لغير واحد من الأنبياء ومن تبعهم، وكان ذلك آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة من قبله إذا كان إحياء الموتى مختصًّا بالأنبياء وأتباعهم».

---

(١) البقرة: ١٢٤.
(٢) منهاج السنّة النبوية، ج٧، ص١٠٩.
(٣) صحيح البخاري، ج٧، ص١٩٠.
(٤) أصول الكافي، ج٢، ص٣٥٢.

وقال في الكتاب نفسه: «فإنّه لا ريب أنّ الله خصّ الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم، ولا ريب أنّ من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفرق البحر، فإنّ هذا لم يكن لغير موسى، وكانشقاق القمر والقرآن وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد من الأنبياء وكالناقة التي لصالح، فإنّ تلك الآية لم يكن مثلها لغيره، وهو خروج ناقة من الأرض بخلاف إحياء الموتى، فإنّه اشترك فيه كثير من الأنبياء، بل ومن الصالحين»(١).

وقد نقل ابن تيمية -وكذلك ابن حجر العسقلاني- عن شيبان النخعي أنه كان له حمارٌ، فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم توضأ، فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه(٢).

وأيضا يَنقل أهل السنّة في كتبهم عن إطاعة العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار) لعمر بن الخطاب، قال السخاوي في "التحفة اللطيفة" في ترجمة عمر بن الخطاب: «وترجمته تحتمل مجلدًا ضخمًا، وممن أفردها الذهبي في "نعم السمر في سيرة عمر" وقد أطاعته العناصر الأربع، فإنه كتب لنيل مصر، وقد بلغه أن عادته أن لا يوفي إلّا ببنت تلقى فيه، فقطع الله من كتابه هذه العادة المذمومة، والهواء حيث

(١) النبوات، ص٢١٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ج١١، ص٢٨١؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص١٩٢.

بلغ صوته إلى سارية، والتراب حين زلزلت الأرض، فضربها بالدرة، فسكنت، والنار حيث قال لشخص: أدرك بيتك فقد احترق»[١].

وبهذا اللحاظ إذا ادّعى الشيعة الإمامية لأئمتهم عليهم السلام قدرات من هذا النوع، منحها الله سبحانه لهم فلا يحقّ لأحد الاعتراض على ذلك؛ لأنَّ حكم الأمثال فيما يجوز، ولا يجوز واحد من هذه الناحية.

وعليه، فالشيعة تعتقد أن الله سبحانه يمنح الأنبياء وأوصياءهم قدرات تتناسب مع حجم مسؤولياتهم، فيستفيدون منها على وفق ضوابط يرضاها، وفي حدودٍ لا تؤدي إلى مصادرة الحريات التي منحها الله تعالى للناس، ولا تؤدي إلى التصادم مع اختيارهم، فهو جلّت قدرته لم يمنع بني إسرائيل من قتل الأنبياء بغير الحق، وحين كان لا بدّ من التدخل، نجد أن تدخله سبحانه قد حصل خارج دائرة اختيار الناس، فلم تتدخل الإرادة الإلهية في اختيار القوم إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار، وإنما تدخلت خارج دائرة اختيارهم، فحالت بين النار وبين الإحراق كما بيّنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[٢]، ولو أن إرادته سبحانه حالت بينهم وبين اختيارهم لكانت لهم الحجة على الله تعالى، ولظنوا أنه تعالى يظلمهم بذلك.

والمعصوم لا يلجأ إلى العمل بالولاية التكوينية دائمًا، بل هو مأمور بالعمل بالأخذ بالأسباب الظاهرية غالبًا.

---

(١) التحفة اللطيفة، ج٢، ص٣٣٧.
(٢) الأنبياء:٦٩.

## خفاءُ أسماءِ المعصومين عن بعض أصحابِهم لا يلزم منه عدمُ ثبوتها

السائل: سامي التميمي

السؤال: لماذا خفيتْ أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام عن أصحابهم، حتى صارَ البحثُ عن الإمام بعد وفاة أحد الأئمة عليهم السلام أشبه بالبحث عن الكبريت الأحمر، فهذا يستدعي التساؤل بل التشكيك بثبوت أسمائهم عليهم السلام وإلا لو كانت ثابتة لما خفيت على أصحابهم!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

أسماء أئمتنا عليهم السلام ثابتة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديث الأئمة عليهم السلام أنفسهم، الواردة من طرق متعددة معتبرة؛ لأنَّ ما يثبت عنهم عليهم السلام معناه ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ حديثهم عليهم السلام هو حديثه، ونشير هنا إلى نزرٍ منها:

من نحو ما رواه الفضل بن شاذان في كتابه "إثبات الرجعة" بسند صحيح عن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ أنت يا عليّ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ الحسن أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ الحسين أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ علي بن الحسين أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ جعفر بن محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ موسى بن جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ علي بن موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ علي بن محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ الحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمَّ الحجّة بن الحسن الذي تنتهي إليه الخلافة والوصاية، ويغيب مدّة طويلة، ثمَّ يظهر، ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[(١)].

ومن نحو ما رواه الخزار القمّي بسندٍ صحيح عن علقمة بن محمّد الحضرمي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «قال جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسين بن عليّ عليهما السلام: يا حسين يخرج من صلبك تسعةٌ من الأئمة، منهم مهديُّ هذه الأمة، فإذا استشهد أبوك فالحسن بعده، فإذا سمّ الحسن فأنت، فإذا استشهدت فعليّ ابنك، فإذا مضى علي فمحمّد ابنه، فإذا مضى محمّد فجعفر ابنه، فإذا مضى جعفر فموسى ابنه، فإذا مضى موسى فعليّ ابنه، فإذا مضى عليّ فمحمّد ابنه، فإذا مضى محمّد فعليّ ابنه، فإذا مضى عليّ فالحسن ابنه، فإذا مضى

(١) أربعون حديثًا معتبرًا، للماحوزي، ص٣٢.

الحسن فالحجّة بعد الحسن، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا»[١].

ومن نحو ما رواه الشيخ الصدوق بسندٍ صحيح عن عبد الله بن جندب عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: «تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أُشهدك، وُشهد ملائكتك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي، والإسلام ديني، ومحمّدًا نبيّي، وعليًّا والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي، والحجّة بن الحسن بن علي أئمتي، بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ»[٢].

إلى غير ذلك من النصوص المتضافرة في تعيين أسمائهم عليهم السلام في المجاميع الحديثية عند الشيعة الإمامية.

أما خفاء أسمائهم عليهم السلام عن بعض أصحابهم فلا يلزم منه عدم ثبوتها، فخفاء الشيء لا يستلزم عدمه؛ إذ لا يُنكِر وجودَ الشمس ذو مسكة من عقل وإن اختفت خلف السحب، فإن خفيت أسماء المعصومين عليهم السلام عن بعض أصحابهم لأسباب، فهي قد كانت عند الآخرين منهم في غاية الوضوح.

وكان سبب خفاء أسمائهم عليهم السلام عن بعض أصحابهم هو الظّروف

(١) أربعون حديثًا معتبرًا، ص١٢.
(٢) رسالة مختصرة في النصوص الصحيحة، للتبريزي، ص١٦.

العصيبة التي عصفتْ بهم، لا سيما ظروف الإمامين الصّادق والكاظم عليهما السلام فقد كانت عصيبة جدًّا، حيث بلغت الحال من مراقبة أجهزة السّلطة القمعيّة بأنّ الإمام عليه السلام إذا دخلَ السّوق يأمرُ أصحابه بألّا يسلّموا عليه، ولا يقتربوا منه حتّى لا تَعرفَ السّلطات أنّهم من أتباعه وشيعته، فتعتقلهم، ومن هنا حصل خفاء الأسماء عند بعض أتباع الأئمة عليهم السلام بسبب هذه الظّروف القمعيّة الشديدة، ولكن بقيَ الأئمّةُ عليهم السلام في غاية الحرص على الحفاظ على خطّ الإمامة الصّحيح بالإيصاء لبعض أصحابهم الخُلّص جدًّا باسم الإمام الذي يلي الإمامَ الآخر عند وفاته، وهو ما وصلَ إلينا بأسانيد صحيحة ومعتبرة في حقّ كلّ إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## الانتفاع بالمهديّ المنتظر في غيبته كالانتفاع بالشمس المختفية

السائل: مرتضى البصري

السؤال: هل سيظهر الإمام المهديّ عليه السلام في هذه النشأة أم في نشأةٍ أخرى؟ وما فائدة ظهوره؟ وما الوظيفة التي يؤديها في غيبته؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

المتفَق عليه أنَّ ظهور الإمام المهديّ عليه السلام هو في هذه الدنيا وهذه النشأة، دلت عليه جملةٌ من الروايات، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلًا من ولدي، اسمه اسمي، فقام سلمان الفارسي، فقال: يا رسول

الله، من أيّ ولدك؟ قال: من وَلدي هذا. وضرب بيده على الحسين»[١].

فهذه الرواية تدلّ على أنّ الظهور هو في هذه الدنيا لا في غيرها، وما يرد بخلاف ذلك لا يوجد دليلٌ ناهض عليه.

أما الفائدة من وجود الإمام المهديّ عليه السلام فهي تكمن في عمله في أنه إمامٌ معصوم من أئمة العترة الطاهرة، حيث يحفظ الدين، ويصونه من التحريف والتلاعب الذي يقوم به أصحاب الأهواء والزيغ. ومن الإمام المهديّ عليه السلام نستمد تعاليم الإسلام الحقيقية والتفسير الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية.

أمّا وظيفته عليه السلام حال غيبته فقد ذكرت الروايات عندنا بأنَّ للإمام عليه السلام زمن الغيبة عملين:

**الأوّل:** تكوينيّ حفظيّ، وهو ما ورد بنحوٍ متظافر يبلغ حدّ التواتر بأنَّ الأرض لا يمكن أن تبقى بغير إمامٍ معصوم، وإلّا ساخت - أي انخسفت - بأهلها[٢].

وهذا العمل لا يختصّ بالإمام المهدي عليه السلام، بل هو شاملٌ لكلّ

---

(١) المنار المنيف لابن القيم، ص١٤٨، ٣٢٩؛ عقد الدرر، ص٤٥؛ ذخائر العقبى، ص١٣٦.
(٢) راجع: الكافي، ج١، ص١٧٨ باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة؛ بصائر الدرجات للصفار، ص٥٠٨ باب الأرض لا تخلو من الحجّة، كمال الدين للصدوق، ص٢٠١ باب العلّة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام.

الأئمة، ومع ذلك فقد ورد عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف نفسه قوله، كما في التوقيع الشريف: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»[١].

والمعنى المذكور عن عمل أهل البيت عليهم السلام التكويني الحفظي لم تقتصر عليه مرويات الشيعة الإمامية فقط، بل ذكرته مرويّات أهل السنّة أيضًا، فقد روى السيوطي والحاكم وغيرهما بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أهل بيتي أمانٌ لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعَدون»، حسّنه السيوطي، وصححه الحاكم النيسابوري[٢].

وكذلك ما ورد من أحاديث كثيرة بأنّ أهل البيت عليهم السلام أمانٌ لأهل الأرض، ويشير إلى ذلك ابن حجر الهيتمي في صواعقه، حيث قال: «السابعة: قوله تعالى: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى وجود هذا المعنى في أهل بيته، وأنّهم أمان لأهل الأرض كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم أمانًا لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة»[٣].

وفي هذه الأحاديث الواردة عند أهل السنّة دلالةٌ واضحة على

---

(١) كمال الدين، للصدوق، ص٤٨٥، الغيبة، للطوسي، ص٢٩٣.
(٢) راجع: الإكمال في أسماء الرجال، للخطيب التبريزي، ص٢٠١؛ المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٤٤٨، ج٣، ص٤٥٧.
(٣) الصواعق المحرقة، ص٣٣٤-٣٣٥.

وجود الإمام المهديّ عليه السلام حيًّا بين ظهراني الأمّة، وإلّا فإذا فسّرنا هذه الأحاديث بما يقوله البعض بأنّه سيولد، ويظهر بعد ذلك فهذا معناه خلوّ الأرض من أهل البيت، وهو مخالفٌ لظهور هذه الأحاديث بأنّ حفظ الأرض وأهلها مقرونٌ بوجود أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال المناوي الشافعي في "فيض القدير" عند شرحه لحديث الثقلين الوارد فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض): «"تنبيه" قال الشريف: هذا الخبر يُفهِم وجود من يكون أهلًا للتمسُّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أنَّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»[١].

**العمل الثاني:** عملٌ لطفيٌّ خاصٌّ، فقد ورد في رسالة الإمام الحجّة عليه السلام إلى الشيخ المفيد والتي ذكرها في كتابه المزار من قوله عليه السلام: «إنّا غير مهمِلين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء»[٢]، والمراد باللأواء: الشدّة وضيق المعيشة، واصطلمكم: أي استأصلكم.

أو كما جاء عنه عليه السلام: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع

---

(١) فيض القدير، ج٣، ص٢٠.

(٢) المزار، ص٨.

بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب»[١].

وهذا الكلام منه عليه السلام يكشف عن الغياب الحاضر، فالشمس حاضرةٌ موجودة وراء الغيوم وإن كانت غائبة عن الأنظار؛ إذ لم يمنعها هذا الغياب والاستتار وراء الغيوم من إيصال نورها إلى الأرض والانتفاع به سائر النهار.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) كمال الدين، للشيخ الصدوق، ص٤٨٥.

## انتظار الإمام المهديّ لا يعرقل الانتصارات، ولا يُعلّق فريضة الجهاد

المستشكل: أبو أيمن الأنباري

الإشكال: لو أنَّ الأمة الإسلامية انتظرت مهديّ الشيعة لما انتصرت في حطّين وبيت المقدس، ولو أنّها انتظرت المهديّ لما سحقت جيوش المغول والتتار في عين جالوت، ولو أنَّ المسلمين السنّة كانوا مثل الشيعة، وعلّقوا الجهاد (لا راية قبل راية المهدي) لما وصلت راية رسول الله (لا إله إلا الله) إلى جبال الهمالايا، ولو أنّهم تبنّوا أفكار الوهم والأحلام لضاع الإسلام والقرآن الكريم، ولما خرج من حدود المدينة المنورة، فماذا قدّم الشيعة للإسلام؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يمكن الرد على هذا الإشكال وتحديد المغالطات فيه على النحو الآتي:

**أوّلًا:** مغالطة الاستنتاج الزائف: يقارن المستشكل بين سلوك الشيعة والسُّنة بنحوٍ عام، ويستنتج أن الشيعة هم الوحيدون الذين ينتظرون المهدي عليه السلام، وهذا استنتاجٌ غير صحيح وزائف؛ لأن السنة أنفسهم أيضًا يؤمنون بظهور المهديّ عليه السلام وينتظرونه بشدة، وليس من المنطقي تقييد هذا الانتظار فقط بالشيعة.

فعقيدة انتظار الإمام المهدي عليه السلام لا تختص بالشيعة فقط، بل هي تشمل المسلمين جميعهم، وبهذا صرّح علماء أهل السنّة:

قال ابن حجر في "فتح الباري": «تواترت الأخبار بأنَّ المهدي من هذه الأمة، وأنَّ عيسى يصلّي خلفه»[1].

وجاء عن ابن قيم الجوزية في كتابه "إغاثة اللهفان": «والأمم الثلاث تنتظر منتظَراً يخرج في آخر الزمان، فإنّهم وعدوا به في كلّ ملّة، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعُبّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا»[2].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٦، ص٤٩٤.
(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص١٠٩٧.

وجاء عن ابن تيمية في كتابه "منهاج السنّة النبوية": «أنّ الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم»[(١)].

وصرّح الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" بأنّ منكر عقيدة المهدي وخروجه التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة هو كمن أنكر ألوهية الله عزّ وجل[(٢)].

**ثانياً:** مغالطة السبب المعكوس أو افتراض السبب والنتيجة: توجيه اتهامٍ للشيعة بعدم تنفيذ فريضة الجهاد بسبب عدم ظهور المهدي المنتظر عليه السلام، هذه المغالطة تفترض أن عدم ظهور المهدي عليه السلام هو السبب الوحيد والمباشر في تعليق الشيعة فريضة الجهاد.

وهذا الاستدلال غير صحيح؛ لأن انتظار الإمام المهدي عليه السلام لا يعني تعليق الجهاد مطلقًا، بل الجهاد الدفاعي وردع المعتدين قائمٌ في الفقه الشيعي، ولا يرتبط بحضور الإمام المعصوم عليه السلام، وقد جاهد المسلمون الشيعة الغزاة الإنكليز تحت حكم الحاكم السنّي دفاعًا عن وطنهم في ثورة العشرين، وكذلك فتوى الجهاد الكفائي الأخيرة التي صدرت عن المرجعية العليا في ردع داعش التي اجتاحت محافظات العراق خير شاهد على ذلك.

أمّا الجهاد الابتدائي فهو منوط بحضور المعصوم عليه السلام، لأنّك لو

(١) منهاج السنّة النبوية، ج٨، ص٢٥٤.
(٢) يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٤٣.

رجعت إلى التأريخ ورأيت سيرة الحكّام في حروبهم مع البلدان غير الإسلامية لرأيت البون الشاسع بينها وبين حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالنبيّ كان همّه الأوّل هو نشر الإسلام وتعليم الناس أحكام الدين الجديد، وكان همّ هؤلاء هو الغنائم وجباية الأموال فقط.

يروي الطبري في تاريخه: «أنّ سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، وكانوا يجبون أحيانًا مائة ألفٍ، ويقولون: هذا صلحنا، وأحيانًا مائتي ألفٍ، وأحيانا ثلاثمائة ألفٍ، وكانوا ربّما أعطوا ذلك، وربّما منعوه، ثمَّ امتنعوا، وكفروا، فلم يعطوا خراجًا حتّى أتاهم يزيد بن المهلب، فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صولًا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص»[١].

وفي نصٍّ آخر له يقول فيه: «لم يزل أهل أفريقية من أطوع البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، حتّى دبَّ إليهم أهل العراق، واستثاروهم، فشقوا العصا، وفرّقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، فقالوا لهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا حتى نَخْبُرَهُم. فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلًا، فقدموا على هشام، فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أنَّ أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفّلهم، ويقول: هذا أخلص لجهادنا، وإذا حاصرنا مدينة قدّمَنا، وأخّرهم، ويقول: هذا ازدياد في الأجر، ومثلنا كفى إخوانه. ثمَّ إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٢٥.

فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها، يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فاحتملنا ذلك. ثمَّ إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا. فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة، ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم: أعن رأي أمير المؤمنين هذا، أم لا ؟! فطال عليهم المقام، ونفدت نفقاتهم، فكتبوا أسماءهم، ودفعوها إلى وزرائه، وقالوا: إن سأل أمير المؤمنين فأخبروه، ثمَّ رجعوا إلى أفريقية، فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه، واستولوا على أفريقية، وبلغ الخبر هشامًا، فسأل عن النفر، فعرف أسماءهم، فإذا هم الذين صنعوا ذلك»[١].

فهذا هو واقع (الجهاد) الذي كان يقوم به هؤلاء الحكام وأشباههم، وهو بعيد عن روح الإسلام وغاياته في تحرير الشعوب ودعوتها إلى دين الله، ومن هنا امتنع الأئمة عليهم السلام وامتنع شيعتهم عن المشاركة في مثل هذه الحروب التي همّها الأوّل والأخير جباية الأموال وأخذ الجواري الجميلات، وليس الدعوة إلى دين الله.

ففي حديثٍ معتبر يرويه الشيخ الكليني في "الكافي": «عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لقي عباد البصري عليّ بن الحسين (صلوات الله عليهما) في طريق مكة، فقال له: يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحجّ ولينته، إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣١٣.

وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: أتمّ الآية، فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج»(١).

**ثالثًا:** مغالطة الانحراف: يفترض المستشكل أن الشيعة تبنَّوا أفكار الوهم والأحلام، وأنهم لم يقدموا شيئًا للإسلام، وهذا ادعاءٌ لا يستند إلى أدلة ملموسة، فالشيعة قدموا كثيرًا للإسلام عبر التاريخ، بما في ذلك العلوم والفكر والأدب والفلسفة والقانون والثقافة والتعليم. إن تاريخ الشيعة مليء بشخصيات علمية وثقافية وروحانية بارزة ساهمت في التنمية والتقدم الإسلامي، ودونك هذه النخبة اليسيرة جدًّا التي لا تجد لها مثيلًا في دنيا الإسلام كلّه ممّن تغذت على يد الولاء لآل البيت عليهم السلام، وأبهرت الدنيا بعلومها الفذة:

١ - أبو الأسود الدؤلي، واضع علم النحو، أخذ هذا العلم عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في قصة معروفة.

قال عنه الذهبي في ترجمته في كتابه "سير أعلام النبلاء": «كان من وجوه شيعة علي، ومن أكملهم عقلًا ورأيًا، وكان معدودًا في الفقهاء، والشعراء، والمحدِّثين، والأشراف، والفرسان، والأمراء،

---

(١) الكافي، ج٥، ص٢٢، مرآة العقول، ج١٨، ص٣٤٧.

والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصُّلع الأشراف»[١].

٢- جابر بن حيّان، هو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، أشهر مَن عرفتْه الدنيا في علم الكيمياء، وهو أوّل من أشار إلى طبقات العين قبل «يوحنا بن ماسويه» (ت٢٤٣هـ)، وقبل حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤هـ)، وأوّل من أثبت إمكان تحويل المعدن الخسيس إلى الذهب والفضة، ولم تقف عبقريّته في الكيمياء عند هذا الحدّ، بل دفعته إلى ابتكار شيء جديد في الكيمياء، فأدخل فيها ما سمّاه بعلم الميزان.

عدّه ابن خلكان، وابن النديم، وابن طاووس، والصفدي، والأمين، وصديق حسن خان، والتستري، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

٣- أبو نصر الفارابي محمّد بن أحمد بن طرخان بن أوزلغ (ت ٣٣٩ هـ)، أوّل حكيم نشأ في الإسلام، أطلقوا عليه لقب المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأوّل.

قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني في "الذريعة إلى تصانيف الشيعة": «توفّي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ، وصلّى عليه سيف الدولة

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨٤.

(٢) يُنظر: وفيات الأعيان، ج١، ص٣٢٧، الفهرست، ص٤٢٠-٤٢١، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ص١٤٦، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٧، أعيان الشيعة، ج٤، ص٣٠، أبجد العلوم، ج٢، ص٤٦٢.

الحمداني مع عدّة من خواصه وكان قبل ارتحاله إلى دمشق واتصاله بسيف الدولة في بغداد مصاحبًا لكافي الكفاة الوزير الصاحب بن عبّاد وغيره من الشيعة، وقد شرع في تأليف الآراء في بغداد سنة ٣٣٠ هـ، وتممه في دمشق سنة ٣٣١ هـ، ويظهر من مواضع منه كونه من الإمامية العدلية القائلين بعصمة الأئمة الطاهرين عليهم السلام»[١].

٤-الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي، أوّل من ضبط اللغة، وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، وهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم.

قال عنه العلّامة الحلّي في كتابه "الخلاصة": «كان خليل بن أحمد أفضل الناس في الأدب، وقوله حجّة فيه، واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان إماميّ المذهب»[٢].

٥- ابن سينا (٣٧٠- ٤٢٨)، عرف باسم الشيخ الرئيس، وسمّاه الغربيون بأمير الأطباء وأبي الطب الحديث في العصور الوسطى -وقد ألّف ٢٠٠ كتابٍ في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب- ويعدّ ابن سينا من أوّل من كتب عن الطبّ في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس[٣].

٦- أبو الريحان البيروني (٣٦٢-٤٤٠)، قال عنه المستشرق الألماني

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١، ص٣٣.
(٢) أعيان الشيعة، ج١، ص١٨٢.
(٣) يُنظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج٦، ص٧٢.

كارل سخاو: «إنّ البيروني أكبر عقلية في التاريخ»، فقد كان البيروني رحّالةً وفيلسوفًا وفلكيًّا وجغرافيًّا وجيولوجيًّا ورياضيًّا وصيدليًّا ومؤرخًا ومترجمًا[١].

هذه نظرة موجزة على إسهامات علماء الشيعة وما قدموه للإسلام والبشرية. ولمعرفة المزيد، يمكنك الاطلاع على كتاب "تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام" للكاتب السيد حسن الصدر، الذي يتألف من ٤٤٥ صفحة، ويتناول كثيرًا من علماء الشيعة الذين أسهموا بنحو كبير في تأسيس مختلف فروع العلوم الإسلامية، بما في ذلك اللغة، والكلام، والمعقول، والفقه، والأصول، والتفسير، والأخلاق وغيرها.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) يُنظر ترجمته في أعيان الشيعة، ج٩، ص٦٦.

## ظهور الاثني عشر راية قبل قيام القائم وإمكان ظهوره بدون علامات

السائل: عباس الموسوي

السؤال: هل ورد ظهور اثني عشر راية قبل قيام القائم، وهل يمكن أن الظهور غير مسبوق بعلامات؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

ورد في "الكافي" للشيخ الكليني، وكذلك في "كمال الدين" للشيخ الصدوق، وفي "الإمامة والتبصرة" لابن بابويه القمّي عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله –الصادق عليه السلام – يقول: «إياكم والتنويه، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم ولتُمحَّصُنّ حتّى يقال: مات، قتل، هلك، بأيّ واد سلك؟ ولتدمعَنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه،

وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروحٍ منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدرى أيٌّ من أيٍّ، قال: فبكيت، ثمّ قلت: كيف نصنع؟ قال: فنظر عليه السلام إلى الشمس داخلة في الصفّة، فقال عليه السلام: يا أبا عبد الله، ترى الشمس؟ قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أبيَن من هذه الشمس»[1].

وقد أوضح الإمام الصادق عليه السلام كيفية التمييز بين راية الهدى والرايات المشتبهة حين سأله المفضل بن عمر، وقال: كيف نصنع؟!

فأجابه الإمام عليه السلام: يا أبا عبد الله، ترى الشمس؟ قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أبيَن من هذه الشمس.

فراية الهدى واضحةٌ لا غموض فيها، تدعو بكل وضوح لصاحب الأمر عليه السلام بخلاف الرايات المشتبهة التي يكتنفها الغموض والسرّيّة في الدعوة إلى أصحابها خاصّة.

أما عن إمكان الظهور من غير علامات سابقة فغير ممكن؛ لأنَّ العلامات التي تسبق ظهوره هي التي تميّزه عن غيره من الذين ادّعوا المهدوية قبله، ففشلوا، وسبب فشلهم عدم اقتران ظهورهم بالعلامات الحتمية التي تظافر نقلها في مصادرنا الحديثية، ولهذا كذّبتهم الناس، ويبقى موضوع الانتظار ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومساءً، فالانتظار في عقيدتنا لا يعني الركود والسكون، بل يعني تنقية النفس من الرذائل والمداومة على العمل الصالح حتّى نكون مهيَّئين فعلًا للانضمام إليه

(١) الكافي، ج١، ص٣٣٦.

(صلوات الله وسلامه عليه) لو ظهر فجأة، وليس الوقت بين ظهور العلامات وظهوره المباشر إلّا بضعة أشهر، ويبقى هذا التوطين للنفس على توقّع الظهور في كلّ جمعة يمثل استعدادًا نفسيًّا للمؤمن، يعتاد عليه حتّى لا ينقطع عن ساحة الانتظار التي عُدَّت أفضل الأعمال في زمن الغيبة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## عقيدة الانتظار ليست اعتقادًا سلبيًا يقيد الأفراد

المستشكل: أبو مصطفى
الإشكال: تأثير عقيدة انتظار المخلّص على مطالبة الناس بحقوقهم وتطوير أوضاعهم، فهذا الانتظار له انعكاساته المخدرة على تنمية الفكر الاجتماعي والتطور المجتمعي.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل البدء بالإجابة على هذا الإشكال، ينبغي أن نوضح مفهوم عقيدة الانتظار. فهي عقيدة ديناميكية ونشطة تدعو إلى التحضير والاستعداد لاستقبال الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وهي حالة من التهيؤ وإعداد النفس لاستقبال شخصٍ غائب وعزيز لا يصلح لاستقباله أي شخص آخر، ويجب أن يكون المستقبلون له من النفوس العالية

المخلصة التي تلتزم بتعاليم الشريعة وتطبيقها بكل جوانبها.

فهذه العقيدة تعبر عن قيمة الاستعداد الروحي والمعنوي لاستقبال الإمام المهدي عليه السلام، وهذا الانتظار ليس مجرد ترقُّب وانتظارٍ غير مبالٍ، بل هو تحضير النفس بنحو عميق وشامل، وتتطلب هذه العقيدة الامتثال الكامل لأحكام الشريعة الإسلامية والعمل الجادّ على تطبيقها في كل جوانب الحياة.

وعقيدة الانتظار ليست عقيدة معطِّلة للناس في المطالبة بحقوقهم وتحسين أوضاعهم، بل تعدُّ هذه العقيدة محركًا دينيًّا وروحيًّا يلهم الناس العمل والكفاح من أجل العدالة والإصلاح في العالم فالانتظار للإمام المهديّ عليه السلام لا يعني تجاهل المشاكل والتحديات التي يواجهها الناس، بل يعني توجيه الجهود نحو إحلال العدل وتحقيق المبادئ الإسلامية في المجتمع.

عقيدة الانتظار تُعَزِّز روح الصبر والثبات في وجه الصعاب، وتعطي الأمل والتفاؤل للناس بتحقيق التغيير الإيجابي وإنها تحث الناس على العمل بجد واجتهاد لتحقيق العدل والمساواة، وتطالبهم بالسعي لتحقيق الإصلاح في المجتمع وتحسين أوضاعهم.

فإن عقيدة الانتظار ليست مجرد عقيدة تلقينيّة تُفرض على الأفراد دون تفكير أو تحرُّك بل هي مفهوم شامل يحمل في طياته رؤية إيجابية ومحفِّزة للتحرك والعمل نحو تحقيق الأهداف، حيث تعد دافعًا

قويًّا يشعل الشغف والحماسة في قلوب الأفراد، فتجعلهم ينتظرون، ويتطلعون إلى ظهور الإمام المنتظر عليه السلام أو تحقيق الغاية المنشودة. فتثير فيهم الشعور بالأمل والتفاؤل، حيث يتوقعون حدوث تغيير إيجابي وتحقيق العدل والاستقامة في المستقبل.

وبهذه العقيدة يتحول الانتظار من حالة سلبية قد تجعل الأفراد يفقدون الأمل والحيوية إلى حالة إيجابية وديناميكية، فالشخص الذي يؤمن بهذه العقيدة يكون مدفوعًا للعمل والتحرك بجدية واجتهاد لتحقيق الأهداف المرجوّة.

فعقيدة الانتظار تلهم الأفراد تطوير مهاراتهم وقدراتهم، وتعزز روح التحدي والتميُّز لديهم. تحفزهم لتعلُّم المزيد واكتساب المعرفة، وتشجعهم على بذل المزيد من الجهود والتضحيات لتحقيق التقدم والتغيير الإيجابي.

باختصار، فإن عقيدة الانتظار ليست اعتقادًا سلبيًّا يقيد الأفراد، بل هي رؤية إيجابية تحفزهم للتحرك والعمل بجدِّية وتصميم لتحقيق الأهداف والتغيير في العالم من حولهم.

بالإضافة إلى ذلك، تعدُّ عقيدة الانتظار مصدرًا للأمل والتشجيع في ظل الظروف الصعبة والمحن التي يمر بها الناس، وتذكِّرهم بأن هناك نهاية لهذه المحن وأن العدالة والخير سيسودان في النهاية، فإن عقيدة الانتظار تعمل على تعزيز الثقة والأمل في المستقبل وتحفيز الناس

على الاستمرار في الجهود والعمل نحو تحقيق الأهداف المشتركة.

وإجمالًا، فإن عقيدة الانتظار تعدُّ محفزًا قويًّا للعمل الدؤوب والتطلع للتحسين والتغيير في المجتمع، وفي الوقت نفسه تعزِّز القيم الروحية والخُلقية التي تعكس تعاليم الإسلام، وهي دعوة شاملة تهدف إلى تحقيق التفاني والاستعداد لاستقبال المهدي المنتظر عليه السلام، وتعزيز العمل المشترك لبناء مجتمعٍ يتميز بالعدل والاستقامة.

وبجانب التفاني، تشجع عقيدة الانتظار على العمل المشترك والتعاون بين الأفراد من أجل بناء مجتمع يتسم بالعدل والاستقامة، يتعاون المؤمنون فيه سويًّا لتطبيق تعاليم الإمام المهدي عليه السلام وتحقيق رؤيته لمجتمع مثالي يسوده السلام والعدل والمحبة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## ادّعاء افتقار الشيعة لـ٣١٣ مؤمنًا وتأثيره على الإمام المهديّ

المستشكل: عبد الله الشمري

الإشـكال: للأسـف يـا شـيعة عـلى رغـم كثرتكـم لا يوجـد فيكـم ٣١٣ مؤمنـًا، فلـو توفّـر هـذا العـدد مـن المؤمنـين لخـرج المهـديّ؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـد لله وكفـى، وسـلام عـلى عبـاده الذيـن اصطفـى، محمـد وآلـه المطهريـن..

اسـتخدم المستشـكل مغالطـةَ الانتقـاص بقولـه "للأسـف يـا شـيعة" لترويـج صـورةٍ نمطيـةٍ سـلبية عـن الشـيعة والتقليـل مـن قيمتهـم الاجتماعية، عـلاوةً عـلى ذلـك فـإن هـذا التعبير يعكس تحيُّزًا سـلبيًّا سـابقًا تجـاه الشـيعة دون تقديـم أيِّ أدلـةٍ ملموسـة أو قويـةٍ لتأييـد تأسُّـفه.

بالإضافـة إلى ذلـك، فإنـه يعلـن بنحـوٍ زائـف أن الشـيعة يفتقـرون إلى ٣١٣ مؤمنـًا، اعتـمادًا عـلى روايـة جـاء فيهـا تحديـد العـدد المتوقِّـف عليـه

ظهورُ الإمام المهديّ عليه السلام، بهذا التحديد تجاهل المستشكل العديد من الروايات الأخرى التي ذكرت أعدادًا غير العدد المذكور، فلا يمكن الاعتماد على هذا الادّعاء على أنه دليل قاطع، فلا يمكن تعليق ظهور الإمام المهدي عليه السلام على تحقق وجود العدد المحدد ٣١٣ من المؤمنين.

فالتركيز على العدد المحدد على أنه سبب وحيد لظهور الإمام المهدي عليه السلام يعدُّ مغالطة في السبب والنتيجة، وهو استنتاج فاسدٌ؛ لأنه يعتمد على صلة زائفة بين العدد المحدد (٣١٣) وظهور المهدي عليه السلام، من دون أيِّ أدلة أو روابط واقعية، ودون الالتفات لتنوُّع الروايات التي تشير إلى أعدادٍ مختلفة للمؤمنين المطلوبين لظهور المهدي عليه السلام، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إذا كمل له العقد -وهو عشرة آلاف رجل- خرج بإذن الله عزّ وجل»[(١)].

وفي روايةٍ أخرى: «حتَّى يكون في مثل الحلقة. قال الراوي: وما الحلقةُ؟ قال: عشرةُ آلاف رجل»[(٢)].

أمّا العدد المشار إليه في أصل الإشكال (٣١٣) فهو يشير إلى حكّام الأرض وعمّاله عليها كما تذكر الروايات، جاء في كتاب "الغيبة" للنعماني عن الإمام الصادق عليه السلام في كلام له عن أصحاب القائم عليه السلام: «أنّهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وأنّهم حكام الأرض وعمّاله عليها، وبهم يُفتح شرق الأرض وغربها»[(٣)].

(١) الغيبة للنعماني، ص٣٠٧.
(٢) إثبات الهداة، للحرّ العاملي، ج٣، ص٥٤٥.
(٣) الغيبة للنعماني، ص٢٥٢.

وفي بعض الروايات نجد عدد الأنصار أكثر ممّا تقدّم ذكره، فقد جاء في جملةٍ من المصادر: «ثمّ يبعث الله من عترة رسوله رجلًا معه اثنا عشر ألف مقاتل، أو خمسة عشر ألف مقاتل»[١].

وهناك روايات توصل العدد إلى مائة ألف رجل[٢].

وعلى وفق ما سبق، لا يكون وجود ٣١٣ مؤمنًا هو السبب الوحيد لظهور المهدي عليه السلام، بل هناك عوامل أخرى مهمة تشمل اختبار الناس وتمحيصهم لكي يدركوا قيمة وجود إمامٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام بين أظهرهم، يتولى قيادتهم وإدارة شؤونهم، ولا يقتلونه كما قتلوا آباءه من قبلُ، وسمُّوهم، وسجنوهم، وشردوهم عن مدينة جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

بنحوٍ عام، يتضح أن المستشكل يستخدم مغالطات مختلفة في تحليله واستنتاجاته، ويغفل العوامل المتعددة والمعقدة التي تؤثِّر في ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وخلاصة ما تقدم:

١ – أن المستشكل يقوم بترويج صورةٍ نمطية سلبية عن الشيعة، ويقلل من قيمتهم الاجتماعية بنحوٍ غير مبرر.

٢ – يستخدم المستشكل مغالطات باستخدام مفردات سلبية

(١) انظر: المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي، ص٦٢٧.
(٢) انظر: إثبات الهداة، للحرّ العاملي، ج٣، ص٥٧٨، وبحار الأنور، ج٥٢، ص٣٠٧.

وتوجيه انتقاص للشيعة دون تقديم أدلة قوية أو ملموسة لتأييد تحيُّزه.

٣ - يتجاهل المستشكل العوامل المعقدة والمتعددة التي تؤثر في ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويقتصر تحليله على افتراضات وتحديدات ضيقة وغير مؤكدة بشأن العدد المحدد للمؤمنين المرتبطين بظهوره عليه السلام.

٤ - العدد المحدد ٣١٣ من المؤمنين ليس علةً تامة في ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## محمدٌ وآل محمدٍ هم محورُ الكون كلّه والسرُّ في خلقه

السائل: رحيم الياسري

**السؤال**: يوجد حديث يقول: إنّ الله سبحانه لم يخلق سماءً مبنيّة ولا فلكًا يدور، إلّا لأجل محمّد وآل محمّد.

**الإشكال الأول**: هل المقصود بالكون هو الفلك الذي نحن فيه أو يشمل أبعادًا أخرى؟

**الإشكال الثاني**: هل من المعقول أن الله سبحانه خلق الكون لأجل هؤلاء الطاهرين، وجلس دون فعلِ شيءٍ في خلقه؛ لكونهم يمتلكون ولايةً يتحكمون فيها بذرات الكون؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإجابة عن الاستفهام بشأن المقصود بالكون هي:

أنه قد فَسّر الحديثُ نفسُه المرادَ من الكون بالسماء المبنيّة والأرض المدحيّة والقمر المنير والشمس المضيئة ... إلخ، فالكون هو كلّ ما هو كائنٌ وموجود في حدود المكان والزمان.

والإجابة عن الاستفهام بشأن معقوليّة خلق الله للكون لأجل محمدٍ وآل محمد (صلوات الله عليهم):

أما من حيث الإمكان فهو ممكن؛ إذ لا يوجد ما هو ممتنع عقلًا ونقلًا أنْ يخلق اللهُ عزّ وجل شيئًا ما لأجل شخصٍ أو أشخاص، فهو على مباني أهل السنّة الكلامية ممكن جدًّا، فالملك كلّه لله، وله أنْ يخلق ما يشاء لمن يشاء: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١]، وعلى مباني الشيعة الإمامية أنّ الخالق حكيمٌ، فالخلق لا بدّ أن يكون لحكمةٍ، فالموضوع لا يرتبط بالذوات على أنهم ذوات، وإنّما يرتبط بالعناوين التي تحملها هذه الذوات؛ لذا فهو ممكن جدًّا من هذه الناحية.

وأمّا من حيث الوقوع فقد ثبتت محوريّة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في خلق الكون عند الفريقين، فقد جاء عن ابن حجر الهيتمي قوله: «ومما صحّ عند الحاكم أيضًا عن ابن عباس، قال: ... فلولا محمد ما خَلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنّة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء، فاضطرب، فكتبت عليه "لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله" فسكن»[٢].

(١) الأنبياء:٢٣.

(٢) الفتاوى الحديثية، ص ٤٥٥.

وجاء عن الفخر الرازي في ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[١]: «فيقول اللهُ: حين كنتَ صبيًّا ضعيفًا ما تركناك، بل ربّيناك، ورقّيناك إلى حيث صرت مشرفًا على شرفات العرش وقلنا لك: لولاك ما خلقنا الأفلاك، أتظن أنّا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك»[٢].

وفي مرويّات الشيعة الإمامية، روى الشيخ الصدوق رحمه الله في "معاني الأخبار" عن الإمام الصادق عليه السلام: «فلمّا أسكن اللهُ عز وجل آدم وزوجته الجنة قال لهما: كلا منها رغدًا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة - يعني شجرة الحنطة - فتكونا من الظالمين - فنظرا إلى منزلة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم، فوجداها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤوسهما، فوجدا اسم محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنورٍ من نور الجبار جلّ جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك، وما أشرفهم لديك! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما، هؤلاء خزَنة علمي، وأُمنائي على سرّي»[٣].

---

(١) الضحى:٦.
(٢) مفاتح الغيب، ج٣١، ص١٩٦.
(٣) معاني الأخبار، ص١٠٩.

وهذا المعنى من المحورية للإنسان -ومصاديقُه العظمى النبي محمّد وأهل بيته الطيبون الطاهرون- نصّت عليه الآيات القرآنية بنحوٍ واضح وصريح، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، ويقول تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾(٢).

وباستدلال قرآني: الله خلق الخلق لأجل العبادة، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣)، والكون كلّه مسخّر للإنسان -كما نصّت عليه الآيات المتقدّمة- حتّى يحصل الغرض من هذه العبادة، وطريق العبادة لا يكون إلّا عبر الإيمان بمحمّد وآل محمّد عليهم السلام، فكانوا بالنتيجة هم محور الكون كلّه والسرّ في خلقه.

فالقول بأنه: إذا كان الله خلق الخلق لأجل هؤلاء الأشخاص فلا يبقى له عملٌ يقوم به في مخلوقاته، والأئمة يتصرفون بالخلق بولايتهم التكوينية جهل محضٌ بموضوع الولاية التكوينية أوّلًا، وجهل في طريقة إدارة الخلق والكون ثانيًا.

فالولاية التكوينية تعني أنّ الله سبحانه وتعالى يمنح النبي أو الولي القدرة على التصرف في الظاهرة الكونية بخلاف نظام العلّية المتعارف،

---

(١) الجاثية:١٣.

(٢) إبراهيم:٣٢.

(٣) الذاريات:٥٦.

وذلك كما في إعطاء القدرة لنبي الله داود عليه السلام في تليين الحديد بيديه المجردتين وعمل دروع سابغات يعتاش منها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

قال ابن كثير في "البداية والنهاية": «وأما إلانة الحديد بغير نارٍ كما يليِّن العجينَ في يده، فكان يصنع هذه الدروع الداودية، وهي الزرديات السابغات، وأمره الله تعالى بنفسه بعملها، «وقدر في السرد» أي ألا يدق المسمار، فيعلق، ولا يعظله، فيقصم، كما جاء في البخاري»(٢).

وأيضًا كما في إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص لنبي الله عيسى عليه السلام، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾(٣).

فالولاية التكوينية هي قدرةٌ إعجازية يمنحها المولى سبحانه لأنبيائه وأوليائه، وتكون بإذنه وإرادته، فهي ليست تصرفًا مستقلًا من الأنبياء

---

(١) سبأ: ١٠-١١.
(٢) البداية والنهاية، ج٦، ص٣١٨.
(٣) آل عمران: ٤٩.

والأولياء، بل هي قدرة إعجازية تمنح منه سبحانه لإثبات نبوة أنبيائه وبيان فضلهم، والجمع بين الآيات في مفروض السؤال واضح، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[١]، وقوله جل وعلا: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾[٢]، بأن خلق عيسى عليه السلام للطير من الطين هو بإذن الله وإرادته، فهو بالنتيجة خلقٌ لله، ولكن بواسطة عيسى عليه السلام.

وهذه الولاية التكوينية قد تمنح للمتقين أيضًا من الناس تفضلًا منه سبحانه، كما هو مقتضى الحديث الصحيح الوارد في البخاري وغيره: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه»[٣]، ورواه بلفظه ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي، الحديث السابع، بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن جده رسول الله صل الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل[٤].

قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": «وقد جاء في الأثر: يا عبدى، أنا أقول للشيء: كن، فيكون، أطعني أجعلْك تقول للشيء: كن،

(١) الأعراف: ٥٤.
(٢) آل عمران: ٤٩.
(٣) صحيح البخاري، ج٧، ص١٩٠.
(٤) الكافي، ج٢، ص٣٥٢.

فيكون. يا عبدي، أنا الحيّ الذي لا يموت، أطعني أجعلك حيًّا لا تموت. وفي أثرٍ أنّ المؤمن تأتيه التحف من الله، من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، فهذه غاية ليس وراءها مرمى. كيف لا؟ وهو بالله يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، فلا يقوم لقوته قوة»(١).

وقال ابن تيمية في كتابه "النبوات": «فإذا كان آية نبيٍّ إحياء الله الموتى لم يمتنع أن يحيي الله الموتى لنبي آخر، أو لمن يتبع الأنبياء كما قد أحيي الميت لغير واحد من الأنبياء ومن تبعهم، وكان ذلك آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة مَن قبله إذا كان إحياء الموتى مختصًّا بالأنبياء وأتباعهم».

وقال في الكتاب نفسه: «فإنّه لا ريب أنّ الله خصّ الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم، ولا ريب أنّ من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء، بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفرق البحر، فإنّ هذا لم يكن لغير موسى وكانشقاق القمر والقرآن وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد من الأنبياء، وكالناقة التي لصالح، فإنّ تلك الآية لم يكن مثلها لغيره، وهو خروج ناقةٍ من الأرض بخلاف إحياء الموتى، فإنّه اشترك فيه كثير من الأنبياء بل ومن الصالحين»(٢).

(١) مجموع الفتاوى، ج٤، ص٣٧٧.
(٢) النبوات، ص٢١٨.

فتلخص مما تقدم:

١ - المقصود بالكون هو كل ما هو كائن وموجود في حدود المكان والزمان.

٢ - من الناحية العقلية والشرعية، يعدُّ خلق الله للكون لأجل النبي محمد وآل محمد ممكنًا.

٣ - ثبوت محورية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في خلق الكون عند الفريقين، وهناك أقوال وروايات تدعم هذا الأمر.

٤ - الكون مسخَّر للإنسان، والغرض من الخلق هو العبادة، وطريق العبادة لا يكون إلّا عبر الإيمان بمحمّد وآل محمّد عليهم السلام، فكانوا بالنتيجة هم محور الكون كلّه والسرّ في خلقه.

٥ - الولاية التكوينية هي قدرة إعجازيةٌ يمنحها الله لأنبيائه وأوليائه لإثبات نبوّتهم وبيان فضلهم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## لوازم القولِ بعدم عصمة الأنبياء والأئمة

المستشكل: عبد الله الغانمي

الإشكال: ما هي العصمة؟ وإذا كان الله تعالى قد عَصم الأنبياء والأئمة فكيف يَطلب الله من عباده الاهتداء بهديهم والاقتداء بهم، وهم قد فعلوا ما فعلوه بفعل العصمة فيهم!! ثم ما المانع من أن يكون الأنبياء أو الأئمة غير معصومين؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

العصمةُ لطفٌ إلهيّ يمنحه الله لمن اصطفاه في قوة العقل والبصيرة بحيث يرى معها حقائق الذنوب أمامه وعواقبها بقوة كبيرة تأنف نفسه بها أن تُقبل على ارتكاب أيّ ذنب، وهي لا تعني الجبر وسلب الاختيار، فقد قال الشيخ المفيد رحمه الله في النكت الاعتقادية: «العصمة لطف، يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة

مع قدرته عليهما»[١].

وقال العلامة الحلي في "الباب الحادي عشر": «العصمة لطفٌ بالمكلف بحيث لا يكون له داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك»[٢].

وأضاف الشيخ المظفر في كتابه "عقائد الإمامية" قائلًا: «بل يجب أن يكون منزَّها عما ينافي المروّة، كالتبذل بين الناس من أكلٍ في الطريق أو ضحكٍ عال، وكل عمل يُستهجن فعله عند العرف العام»[٣].

وممن عرّفها من علماء أهل السُّنة، الجرجاني، فقال: «العصمة: ملَكةُ اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها»[٤].

وقريب منه ما في التحرير وشرحه التيسير: «خُلقٌ مانع من المعصية غير ملجئ إلى تركها. وإلا يلزم الاضطرار المنافي للابتلاء والاختيار»[٥].

ونقل ابن عاشور في كتابه "التحقيقات" كلام "الماتريدي" مبينًا مراده وموضحًا ما ذهب إليه، قائلًا: «وقال أبو منصور الماتريدي: العصمة لا تزيل المحنة، يعني لا تجبر المعصوم على الطاعة، ولا تجيره من المعصية، بل هي لطف الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره

(١) النكت الاعتقادية، ص٣٧، "ضمن مصنفات المفيد، ج١٠".
(٢) الباب الحادي عشر، ص٣٧.
(٣) عقائد الإمامية، ص٢٨٧-٢٨٨.
(٤) التعريفات، ص١٣١.
(٥) تيسير التحرير على كتاب التحرير، محمد أمين المكي، ج٣، ص٢٠.

عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء»[١].

وقال الكفوي في كتابه "الكليات": «قال صاحب " البداية " ومعناه - يعني قول أبي منصور - أنها لا تجبره على الطاعة، ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لطفٌ من الله، يحمل العبد على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء»[٢].

فتحصَّل مما تقدم أنّ العصمة في كلمات علماء المسلمين -إلا من شذّ منهم- لا تعني الجبر وسلب الاختيار من المعصوم، وعليه، فلا وجه لقول المستشكل: (كيف يطلب الله من عباده الاهتداء بهديهم والاقتداء بهم، وهم قد فعلوا ما فعلوه بفعل العصمة فيهم...)، لأنه -كما هو واضح من نصّ كلامه- قد حمل العصمة على الجبر وسلب الاختيار، وهو قول فاسد، لا اعتداد به، ولا نظر إليه لما بيَّنّاه آنفًا.

والشيعة الإمامية الإثني عشرية تعتقد بعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام مطلقًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣]، وذلك لمحل الأمر بإطاعتهم المطلقة من قبل الله عزّ وجل، ومن كانت إطاعته مطلقة فلا بدّ أن يكون معصومًا.

قال الفخر الرازي في تفسيره للآية الكريمة: «إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته

(١) تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، لابن عاشور، ص٤٣.
(٢) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص٦٤٥.
(٣) النساء:٥٩.

على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصومًا عن الخطأ ؛ إذ لو لم يكن معصومًا عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته ، فيكون ذلك أمرًا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهيٌّ عنه ، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وإنه محال ، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أن كلَّ مَن أمَر اللهُ بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصومًا عن الخطأ ، فثبت قطعًا أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصومًا»[١].

وقد ثبت أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم ولاة الأمر في الأمّة، وتنصيبُهم في أنهم خلفاء شرعيون من الله بنصّ حديث الثقلين المتواتر والمتسالم عليه بين الفريقين، الذي ورد في أحد نصوصه: «أني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[٢].

وكذا وردت نصوص قرآنية ونبوية أخرى تثبت عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بل حديث الثقلين المتقدِّم نفسه يدل على العصمة، فقوله: «وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» يثبت العصمة للعترة الطاهرة؛ لأنّ من لا يفارق القرآن، ولا يفارقه القرآن أبدًا لا بدّ أن يكون معصومًا.

---

(١) تفسير الرازي، ج١٠، ص١٤٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج١، ص٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم:٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرنؤوط.

وعن قولك: (... ما المانع من أن يكون الأنبياء أو الأئمة غير معصومين...).

يُجاب: قد تقدّم في الآية ٥٩ من سورة النساء لزوم الإطاعة المطلقة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولولاة الأمر، فهنا لو جوَّزنا على الأنبياء والأئمة ولاة الأمر الشرعيين المعصية، والناس مأمورون بإطاعتهم مطلقًا، ستكون النتيجة تجويز ارتكاب المعاصي شرعًا، من جهة احتمال ارتكابهم الخطأ لعدم عصمتهم ولزوم إطاعة الناس لهم مطلقًا (وهذا الاحتمال وارد عقلًا)، والتجويز المذكور لارتكاب المعاصي شرعًا محالٌ في الحكمة الإلهية كما تقدّم بيانُه عن الفخر الرازي، وعليه لا بدّ أن يكون النبي والإمام معصومًا.

وقد ذكر بعض المحقِّقين تسعة أدلّة عقليّة في لزوم عصمة الأنبياء، نذكر بعضًا منها:

١ - أنه لو انتفت العصمة لم يحصل الوثوق بالشرائع والاعتماد عليها، فإن المبلِّغ إذا جوَّزنا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمدًا أو نسيانًا أو يترك شيئًا مما أُوحي إليه أو يأمر من عنده، فكيف يبقى اعتمادٌ على أقواله؟

٢ - أنه إن فعل المعصية فإما أنْ يجب علينا اتباعه فيها، فيكون قد وجب علينا فعْل ما وجب تركه، واجتمع الضدان، وإن لم يجب انتفت فائدة البعثة .

٣ – أنه لو جاز أن يعصي لوجب إيذاؤه والتبرّي منه؛ لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الله تعالى نصَّ على تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1].

٤ – أنه يلزم بعصيانه سقوط محلّه ورتبته عند العوام، فلا ينقادون إلى طاعته، فتنتفي فائدة البعثة.

٥ – أنه يلزم أن يكون أدون حالًا من آحاد الأمة؛ لأن درجة الأنبياء في غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه فحش كما قال تعالى: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ﴾[2]، والمحصَن يُرجم، وغيره يُحَدُّ، وحدُّ العبد نصف حدِّ الحرّ، والأصلُ فيه أنّ علمهم بالله أكثر وأتم، وهم مهبط وحيه ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أنّ كمال العلم يستلزم معرفته والخضوع والخشوع له في صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز أن يكون أقلَّ حالًا من آحاد الأمة.

٦ – أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة لقوله تعالى: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[3]، فكيف يقبل عموم شهادته في الوحي وأحكام الله تعالى، ويلزم أن يكون أدنى حالًا من عدول الأمة، وهو باطل بالإجماع.

---

(١) الأحزاب: ٥٧.
(٢) الأحزاب: ٣٠.
(٣) الحجرات: ٦.

٧ – أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الاقتداء به لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١]، ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٣]، والتالي باطل؛ لأنه لو لم يكن معصومًا لكان محل إنكارٍ ومورد عتابٍ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾[٥]، فيجب أن يكون مؤتمرًا بما يأمر به منتهيًا عما ينهى.

٨ – أنه لو لم يكن معصومًا لانتفى الوثوق بقوله ووعده ووعيده، فلا يطاع في أقواله وأفعاله، فيكون إرساله عبثًا.

٩ – أنه يقبح من الحكيم أن يكلِّف الناس باتباع من يجوز عليه الخطأ، فيجب كونه معصومًا؛ لأنه يجب صدقه؛ إذ لو كذب –والحال أن الله أمرنا بإطاعته– لسقط محلُّه عن القلوب، فتنتفي فائدة بعثته[٦].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



---

(١) النساء:٥٩.
(٢) الأحزاب:٢١.
(٣) آل عمران:٣١.
(٤) البقرة:٤٤.
(٥) الصف:٣.
(٦) ينظر: عقائد الإمامية الإثني عشرية، للزنجاني، ج١، ص٤١–٤٣.

## عليٌّ يتبَّوأ مكانة الرائد في العلم بين الصحابة

المستشكل: عبد الله الخوار

الإشكال: بعضُ الصحابة كانوا يتمتعون بالفصاحة والعلم، وكانوا يفضَّلون على علي بن أبي طالب في المناسبات العامة، مما يعزز فكرة أنه ليس أعلمهم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإشكال يستبطن مغالطةً تتمثل في استنتاجٍ خاطئ يستند إلى معلوماتٍ غير صحيحة، ويتمثل الخطأ في افتراض أن بعض الصحابة يتمتعون بالفصاحة والعلم، ويفضَّلون على عليٍّ عليه السلام في المناسبات العامة، ومن ثم يستنتج أنّ عليًّا عليه السلام ليس أعلمهم. هذا الاستنتاج غير صحيح، حيث أن افتراض وجود بعض الصحابة الذين يتمتعون بالفصاحة والعلم لا يثبت أن عليًّا عليه السلام ليس أعلمهم. علاوة على ذلك أن أعلمية علي بن أبي طالب على الصحابة بلغت من الشهرة إلى الحدّ

الـذي لا يمكـن لأي أدلـةٍ أو حجـج أن تُقـدَّم للتشـكيك فيهـا.

وعلى نفي المغالطة، يمكننا أن نقدم الأدلة الآتية:

جاء في كتاب "المواقف" للإيجي ما نصّه:

«وعـليّ أعلـم الصحابـة؛ لأنّـه كان في غايـة الـذكاء والحـرص عـلى التعلّـم ومحمّـد صـلى الله عليـه وسـلم أعلـم النـاس وأحرصهـم عـلى إرشـاده، وكان في صغـره في حجـره، وفي كـبره ختنـًا لـه، يدخـل عليـه كلّ وقـت، وذلـك يقتـضي بلوغـه في العلـم كلّ مبلـغ، وأمّـا أبـو بكـر فاتصـل بخدمتـه في كـبره، وكان يصـل إليـه في اليـوم مـرّة أو مرّتـين، ولقولـه صـلى الله عليـه وسـلم (أقضاكـم عـلي)، والقضـاء يحتـاج إلى جميـع العلـوم فـلا يعارضـه نحـو (أفرضكـم زيـد وأقرؤكـم أُبيّ). ولقولـه تعـالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، وأكثـر المفسريـن عـلى أنّـه عـليّ.

ولأنّـه نهـى عمـر عـن رجـم مـن ولـدت لسـتة أشـهر وعـن رجـم الحاملـة، فقـال عمـر: لـولا عـلي لهلـك عمـر، ولقـول عـليّ: (لـو كسـرت لي الوسـادة، ثـمَّ جلسـت عليهـا لقضيـت بـين أهـل التـوراة بتوراتهـم وبـين أهـل الإنجيـل بإنجيلهـم وبـين أهـل الزبـور بزبورهـم وبـين أهـل الفرقـان بفرقانهـم، والله مـا مـن آيـةٍ نزلـت في بـرّ أو بحـر أو سـهل أو جبـل أو سـماء أو أرض أو ليـلَ أو نهـار إلّا وأنـا أعلـم في مـن نزلـت، وفي أيّ شيء نزلـت).

ولأنَّ عليًّـا ذكـر في خطبتـه مـن أسرار التوحيـد والعـدل والنبـوة والقضـاء والقـدر مـا لم يقـع مثلـه في كلام الصحابـة.

ولأنَّ جميع الفرق ينتسبون إليه في الأصول والفروع. وكذا المتصوفة في علم تصفية الباطن. وابنُ عباس رئيس المفسرين تلميذه.

وكان في الفقه والفصاحة في الدرجة القصوى.

وعلم النحو إنّما ظهر منه، وهو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بتدوينه.

وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة، وكذا علم الفتوة والأخلاق»[(١)].

هذه شهادة قيّمة تأتي من عالمٍ بارز في أهل السُّنة، الإيجي، الذي يشهد بأعلمية عليّ عليه السلام على جميع الصحابة.

وقد جاء من الأدلة والشواهد الكافية - في كلامه - لإثبات مدّعاه، وخصوصًا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وأقضَاهُم عليٌّ)، الَّذي صححه الألباني[(٢)].

وهو ما شهد به أيضًا عمر بن الخطاب حين قال -كما يذكر ذلك البخاري في صحيحه-: «وأقضانا عليّ»[(٣)].

قال المناوي الشافعي في "فيض القدير": «"وأقضاهم عليّ" أي

(١) المواقف، للإيجي، ج٣، ص٦٢٧.
(٢) صحيح ابن ماجة، ج٩، ص٣٤ تحت رقم:١٥١؛ وصحيح الجامع الصغير، ج١، ص٢١١ تحت رقم:٨٦٨؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، تحت رقم: ١٢٢٤.
(٣) صحيح البخاري، ج٥، ص١٤٩ كتاب تفسير القرآن.

أعرفهم بالقضاء بأحكام الشرع. قال السمهودي: ومعلومٌ أنّ العلم هو مادّة القضاء. قال الزمخشري: سافر رجل مع صحْبٍ له، فلم يرجع حين رجعوا، فاتهمهم أهله، فرفعوهم إلى شريح، فسألهم البيّنة على قتله، فارتفعوا إلى عليّ، فأخبروه بقول شريح، فقال:

أوردها سعد وسعد مشتمل    ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ثمّ قال: إنّ أصل السقي التشريع، ثمّ فرّق بينهم، وسألهم. فاختلفوا، ثمّ أقرّوا بقتله، فقتلهم به:

وأخباره في هذا الباب مع عمر وغيره لا تكاد تحصى. قالوا: وكما أنّه أقضى الصحب في العلم الظاهر، فهو أفقههم بالعلم الباطن: قال الحكيم الترمذي في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لعلي: البس الحلة التي خبأتها لك: هي عندنا حلة التوحيد، فإنَّ الغالب على عليّ التقدّم في علم التوحيد، وبه كان يبرز على عامّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم»[1].

وجاء في "المقاصد الحسنة" للسخاوي، تحقيق الحافظ عبد الله الصدّيق الغماري في بيان حديث (أقضاكم عليّ) تحت رقم ١٣٩: «قضاء عليّ وعلمه وشجاعته من المتواترات، فليس من الصحابة من يفوقه في ذلك»[2].

---

(١) فيض القدير، ج١، ص ٥٨٨.
(٢) المقاصد الحسنة، برقم: ١٣٩.

ونرى في كتب القوم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وهو حديث متّفق عليه بين الخاصّة والعامّة، فهل قال مثل هذا الكلام في غير عليّ عليه السلام؟

وتلخص مما تقدم: أن الأدلة تنفي المغالطة، وتؤكد الحقائق المعاكسة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## دلالةُ اعتراض الزهراء عليها السلام على حديث "لا نورِّث، ما تركنا صدقة"

المستشكل: محمد أبو عبد الله

الإشكال: فيما يتعلّق بمسألة وراثة الأنبياء وحديث "لا نورِّث، ما تركنا" الذي يروى عن أبي بكر، ليس هو الخبر الوحيد، بل هو مُنقولٌ أيضًا في أحاديث أخرى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهم، فالشيعة يَكذبون عبر زعمهم أنّ هذا الحديث هو الوحيد الذي ورد عن أبي بكر بهذا الشأن!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

حديث "لا نورِّث، ما تركنا صدقة" محلّ إشكال وعدم مقبولية؛ لأننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الحديث الصحيح المرويّ عن عائشة، وهو قولها: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ أصدقَ من فاطمةَ غيرَ أبيها»[1]، وكذلك آية التطهير التي نصّت على إذهاب الرجس عن أهل البيت، وحديث

(١) مسند أبي يعلى، ج٨، ص١٥٣؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠١.

الكساء المشهور عند سائر المحدِّثين الذي نصّ على أنّ فاطمة عليها السلام من الخمسة الذين جلّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكسائه، وقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأَذهِب عنهم الرجس، وطهِّرهم تطهيرًا»[١]، فسيتضح لنا أنّ اعتراض فاطمة الزهراء عليها السلام على حديث أبي بكر الذي يقول "لا نورِّثُ، ما تركنا صدقةً" ينفي أنْ يكون هذا الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا نورِّث، ما تركنا صدقة" لسمعتْه فاطمة عليها السلام منه، ولما اعترضت عليه لكونها صاحبة الشأن ووريثته، وكذلك زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم لم يسمعْن بهذا الحديث، فقد روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثْن عثمان إلى أبي بكر يسألنَه ميراثهن[٢].

يقول الفخر الرازي: «إنّ المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلّا فاطمة وعلي والعباس، وهؤلاء كانوا من أكابر الزهّاد والعلماء وأهل الدين، وأمّا أبو بكر فإنّه ما كان محتاجًا إلى معرفة هذه المسألة؛ لأنّه ما كان ممّن يخطر بباله أنّه يورَّث من الرسول، فكيف يليق بالرسول أن يبلّغ هذه المسألة إلى من لا حاجة له إليها، ولا يبلّغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة؟»[٣].

أ فهل يعقل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد الحكماء أن يبلغ أحكامًا

(١) صحيح مسلم، ج٧، ص١٣٠.
(٢) انظر صحيح البخاري، ج٥، ص١١٥، كتاب المغازي باب حديث بني النضر.
(٣) التفسير الكبير، ج٩، ص٢١٠.

إلى غير ذوي الشأن، ويترك ذوي الشأن يعيشون الجهل بالموضوع، ثمّ يقعون بمحاذير مخالفة الشريعة؟!!

إن قالوا: إنّ فاطمة عليها السلام لم تسمع بهذا الحديث الذي رواه لها أبو بكر، ومن هنا ادّعت ما ليس لها حقّ فيه!

قلنا لهم: روى مسلم في صحيحه: «من ادّعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار»[1]، فبحسب هذا الحديث الصحيح في مسلم يجب أن تكون فاطمة عليها السلام من أهل النار؛ لأنّها ادّعت ما ليس لها من الإرث!!

ولو فرضنا أن فاطمة عليها السلام لم تسمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنها مع سماعها له من أبي بكر غضبت عليه، وهجرته حتى ماتت (كما ينقل ذلك البخاري في صحيحه)، فهل يا ترى أن الله أثابها على مخالفتها هذه للحديث الصحيح، وأعطاها درجة سيدة أهل الجنة اعتباطًا مع أنها حسب حديث مسلم حقّها أن تكون من أهل النار؟!!

فهذا الحديث تحوم حوله استفهامات عديدة تجعلنا لا نجزم بصدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن ادّعي وجود أسانيد أخرى له، فالشبهات آخذة فيه من كلّ جانب.

ثمّ حتى لو سلّمنا بصدور هذا الحديث عن صلى الله عليه وآله وسلم، وغضضنا النظر عمّا تقدّم، نقول:

(١) صحيح مسلم ١: ٥٧.

ليس المراد من الحديث هو ما فهمه أبو بكر بأنّ ما تركه النبي ﷺ يكون صدقة، وليس إرثًا، بل يكون المراد منه -كما ينقل السرخسي في المبسوط عن بعض مشائخه-: «أن معنى الحديث هو أنّ ما تركنا صدقة، لا يورث عنا، وليس المراد أن أموال الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) لا تورث، وقد قال الله تعالى: (وورث سليمان داود)، وقال تعالى: (فهب لي من لدنك وليًّا يرثني، ويرث من آل يعقوب)، فحاشا أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف المنزل»[١].

ومثل هذا الاشتباه في الفهم ليس بجديد عند الصحابة، يشهد لذلك خلاف عمر وعائشة في البكاء على الميت، وهو أشهر من نارٍ على علم، فعمر يدّعي أنه سمع النهي في البكاء على الميت من النبي ﷺ، وعائشة تتهمه، وتقول له: إنك اشتبهت في فهمك، فليس معنى حديث رسول الله ﷺ كما تقول!!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) المبسوط، ج١، ص٢٩.

## تاريخُ جمع القرآن الكريم وكيفيّة جمعه ومدى اكتماله

السائل: مرتضى الموسوي

السؤال: متى جُمع القرآن الكريم؟ وكيف جُمع؟ وهل جُمع كاملًا أو ناقصًا؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قال السيد الخوئي قدس سره في كتابه "البيان في تفسير القرآن": إنَّ القرآن كان قد جُمع، وكُتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد روى جماعةٌ، منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي عن ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أنْ عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ممّا يأتي عليه الزمان، ينزل

عليه السورة ذات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوّل ما أنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولًا، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، وقُبض ﷺ ولم يبيِّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: "بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعتهما في السبع الطوال[١].

وروى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي، قال: «جَمع القرآنَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستةٌ من الأنصار: أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[٢].

وروى قتادة، قال: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[٣].

وروى مسروق: ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود، فقال: «لا أزال أحبّه، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبيّ بن كعب»[٤].

---

(١) منتخب كنز العمال، ج٢، ص٤٨.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٥٢.
(٣) صحيح البخاري، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج٦، ص٢٠٢.
(٤) المصدر السابق.

وأخرج النسائي بسندٍ صحيح عن عبد الله بن عمر، قال: «جمعت القرآن، فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اقرأه في شهر...»[١].

قد يقال: إنّ المراد من هذا الجمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الجمع في الصدور دون التدوين في المصاحف.

قال السيد الخوئي قدس سره: «هذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف إلى ذلك أنّك ستعرف أنَّ حُفّاظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟!! وأنَّ المتصفِّح لأحوال الصحابة، وأحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحصل له العلم اليقين بأنَّ القرآن كان مجموعًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنَّ عدد الجامعين له لا يُستهان به. وأمّا ما رواه البخاري بإسناده عن أنس، قال: مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يَجمع القرآن غير أربعة:

أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فهو مردود مطروح؛ لأنّه معارِض للروايات المتقدّمة، حتّى لما رواه البخاري بنفسه. ويضاف إلى ذلك أنّه غير قابل للتصديق به. وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كثرتهم، وتفرّقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة، وهذه الدعوى تخرُّص بالغيب، وقول بغير علم»[٢].

---

(١) الإتقان، النوع ٢٠، ج١، ص١٢٤.
(٢) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٠-٢٥١.

أمّا ما ورد من جمع القرآن في عهد أبي بكر، فهو إضافة لمعارضته لما تقدّم من روايات، فالوارد في هذا الموضوع يعارض بعضه بعضًا[١]، وكذلك معارضته للقرآن الكريم نفسه.

قال السيد الخوئي في المصدر المتقدّم: «إنَّ هذه الروايات -أي روايات جمع أبي بكر للقرآن الكريم- معارَضة بالكتاب، فإنَّ كثيرًا من آيات الكتاب الكريمة دالة على أنَّ سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وانَّ السور كانت منتشرة بين الناس، حتّى المشركين وأهل الكتاب، فإنَّ النبي ﷺ قد تحدّى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفترَيات، وبسورةٍ من مثله، ومعنى هذا: أنَّ سور القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبيّ ﷺ: "إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي" وفي هذا دلالة على أنّه كان مكتوبًا مجموعًا؛ لأنّه لا يصح إطلاق الكتاب عليه، وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والأكتاف، إلّا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يُحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإنّ لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعيّ، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزّاً غير مجتمع، فضلًا عما إذا لم يُكتب، وكان محفوظًا في الصدور فقط». انتهى.

---

(١) انظر ما أفاده السيد الخوئي في المصدر المذكور حين ذكر أكثر من عشرين رواية حول جمع أبي بكر للقرآن، وكلّها يعارض بعضها بعضًا.

وهو أيضًا معارِضٌ للإجماع:

قال السيد الخوئي قدس سره: «إنَّ هذه الروايات -أي روايات جمع أبي بكر للقرآن- مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أنَّ القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر، فإنّها تقول: إنَّ إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصرًا بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضًا، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟

ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبيّنة [وهي قول شاهدين]، مع القول بأنَّ القرآن لا يثبت إلّا بالتواتر، أ فلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواترًا سببًا للقطع بكذب هذه الروايات أجمع؟ ومن الغريب أنّ بعضهم -كابن حجر- فسّر الشاهدين في الروايات بالكتابة والحفظ.

وفي ظنّي أنَّ الذي حمله على ارتكاب هذا التفسير هو ما ذكرناه من لزوم التواتر في القرآن. وعلى كلّ حال فهذا التفسير واضح الفساد من جهات:

**أمّا أوّلًا:** فلمخالفته صريح تلك الروايات في جمع القرآن، وقد سمعتها.

**وأمّا ثانيًا:** فلأنَّ هذا التفسير يلزمه أنّهم لم يكتبوا ما ثبت أنّه من القرآن بالتواتر، إذا لم يكن مكتوبًا عند أحد، ومعنى ذلك أنّهم أسقطوا

من القرآن ما ثبت بالتواتر أنه من القرآن[١].

**وأمّا ثالثًا:** فلأنَّ الكتابة والحفظ لا يحتاج إليهما إذا كان ما تراد كتابته متواترًا، وهما لا يثبتان كونه من القرآن، إذا لم يكن متواترًا. وعلى كلّ حال فلا فائدة في جعلهما شرطًا في جمع القرآن.

وعلى الجملة لا بدَّ من طرح هذه الروايات؛ لأنّها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين»[٢].

نعم، هناك دعوى يمكن قبولها في الموضوع، وهي غير جمع القرآن الكريم وتدوينه، وهي ما قام به عثمان على جمع المسلمين على قراءة إمام واحد.

قال السيد الخوئي قدّس سرّه: «نعم، لا شكَّ أنَّ عثمان قد جمع القرآن في زمانه، لا بمعنى أنّه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنّه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد، وأحرق المصاحف الأخرى التي تخالف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة، وقد صرّح بهذا كثيرٌ من أعلام أهل السُّنّة.

قال الحارث المحاسبي[٣]: "المشهور عند الناس أنَّ جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجهٍ واحد،

---

(١) الإتقان – النوع ١٨ ص ١٠٠.
(٢) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٦.
(٣) الإتقان، النوع ١٨، ج١، ص١٠٣.

على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لمّا خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوهٍ من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن... "»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٧– ٢٥٨.

## الإمامةُ العظمى تستمدُّ شرعيتها من الكتاب والسُّنة

السائل: أحمد صالح

السؤال: توجد آراء متعددة في ما يتعلق بشرعية الولاية ومصدر شرعيتها. أحد الآراء يقول: إنّ الولاية تستمد شرعيتها من الناس، وأحد الأدلة التي يستدلون بها هو تكرار البيعة في التاريخ، والتي تُعتبر عقدًا اجتماعيًّا بين الحاكم والمجتمع.

وفيما يخصُّ خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، يمكن أن يؤيد بعض الأشخاص هذا الرأي، ويعتبرون أن بيعة الإمام علي عليه السلام لهؤلاء الخلفاء تشير إلى صحة خلافتهم. يرون أن بيعة الإمام علي لهم جميعًا تعد دليلًا قويًّا على شرعية خلافتهم واستمرار النظام الحاكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإمامة العظمى تستمدُّ شرعيتها من الكتاب والسُّنة لا من الناس واجتماعهم، فهي لا تكون إلا بالجعل والتنصيب، دلّ على ذلك قول الله

عز ذكره: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١].

أمّا دعوى أنَّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام بايع الذين سبقوه بالخلافة فهذا لم يثبت بنحوٍ قطعيّ، وعلى فرض ثبوته، فهي بيعةُ إكراهٍ واضطرار، وبيعةُ الإكراه لا تعدّ بيعة شرعًا. ويدلّ على ذلك ما ورد في صحيح البخاري: «وكان لعليّ من الناس وجه في حياة فاطمة، فلما توفِّيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر»[٢].

وهذه الكراهية التي صرّح بها البخاري لم تكن بحقّ عمر فقط، بل كانت تشمل حتّى أبي بكر، كما يرويه لنا مسلم في صحيحه، وعلى لسان عمر نفسه، حيث خاطب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام والعباس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلًا لهما: «فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نورِّث، ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم إنه لصادق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر، وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر، فرأيتماني كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا»[٣].

ففي ظلّ هذه الأجواء المستقاة من أصحّ كتابين بعد كتاب الله

(١) البقرة:١٢٣.
(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص٨٣، باب غزو خيبر.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم ١٣٧٩.

عند أهل السُّنّة، وهما صحيحا البخاري ومسلم، نفهم أنّ هذه البيعة التي يشير إليها البخاري في صحيحه هي ليست بيعة شرعية، بل هي مصالحة كما سمّاها البخاري، وعطفه لعبارة (مبايعة) على عبارة (مصالحة) يفسّر لنا أجواء هذه البيعة وطبيعتها، خاصّة مع ضمّ تصريح عمر بن الخطاب في صحيح مسلم بما يراه أمير المؤمنين عليه السلام من صفات الكذب والإثم والغدر والخيانة للمعنيين.. فكلّ هذه الأمور تعطينا صورة قريبة من الوضوح -إن لم تكن هي الوضوح بعينه- لما جرى من أحداثٍ في تلك الحقبة الحساسة من تاريخ الإسلام.. هذه الحقبة التي أوضحها لنا الإمام الغزالي، وبيّن فيها انقلاب الأصحاب على الأعقاب ونكرانهم لحديث الغدير بعد أن بايعوا الإمام عليه السلام على الولاية.

قال في "سرّ العالمين": «لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث، من خطبته في يوم غدير خم، باتّفاق الجميع، وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا»[١].

(١) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، كتاب سّر العالمين، ص٤٨٣.

وكـذا الحـال في كلّ مـا يـرِدُ مـن أخبـارٍ حـول بيعـة بعـض الأئمـة عليهم السلام لبعـض طغـاة عصورهـم، فهـي -عـلى فـرض حصولهـا- تعـدّ بيعـة إكـراهٍ لا قيمـة شرعيـة لهـا؛ لأنّهـم عليهم السلام هـم أهـل الخلافـة الشرعيـين بنـصّ حديـث الثقلـين، فـلا يمكـن أن يكونـوا مطيعـين لغيرهـم وأتباعًـا لـه، وإنّـما هـي التقيّـة والصـبر عـلى حكـم الظالمـين حتّـى يفـرّج الله عنهـم.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله، وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



## بروباجندا السلام الإلحادية

المستشكل: v.r.k

الإشكال: لقد رأينا حروبًا كثيرة قد وقعت بسبب الصراعات الدينية، وهذا أمر معروف في التاريخ. في حين لم يتم تسجيل أي حرب حصلت تحت اسم الإلحاد.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يعدّ هذا السؤال استراتيجية تُستخدم من قبل الملحدين لتحميل الأديان تبعات الحروب والصراعات والتسبُّب في المجازر البشرية، على رغم أن الحروب لا ترتبط ارتباطًا حصريًّا بالأديان، سواء كانت ديانات سماوية أو دنيوية. فالحروب ترتبط بطبيعة الإنسان الذي يسعى للسيطرة، ويستغل أي شيء من أجل مصالحه الشخصية، إذ من الممكن أن يستغل الشخص الدين وسيلةً لتحقيق أهدافه الشخصية، وتلك الأهداف والرغبات الشخصية موجودة في البشر بغض النظر عن

معتقدهم الديني أو العقَدي، حيث يمكن أن يستخدم الفرد أي وسيلة، بما في ذلك الدين، لتحقيق أهدافه الشخصية.

فإذا افترضنا أن جميع البشر تحولوا إلى الإلحاد، فلن يتحقّق حلٌّ للمشكلة، ولن يتوقف التنافس غير الخُلقي بين الناس، ولن يتحقق السلام والاستقرار على الأرض، بل ستزداد الأمور تفاقمًا.

فتحميل الأديان مسؤولية جميع الحروب والمشاكل إنما هو رؤيةٌ سطحية وغير علمية؛ إذ يكمن السبب الأساس للحروب والصراعات في طبيعة الإنسان نفسه، وليس في الأديان، فالحروب والصراعات يمكن أن تنشأ نتيجة لأسباب سياسية، أو اقتصادية، أو قومية، أو عرقية، أو تاريخية، أو نتيجة توترات إقليمية.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تسهم حالات الفقر والظروف الاجتماعية الصعبة في اندلاع الحروب والصراعات، فتتسبب في تكبُّد خسائر بشرية جسيمة.

لذا، من الضروري أن ندرك أن الحروب والصراعات لا يمكن أن يُلقى اللوم في نشوبها على الأديان عمومًا، بل يجب أن نأخذ في الاعتبار العوامل المعقدة والمتعددة التي تؤدي إلى هذه الظواهر السلبية في العالم.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن نعرف أن الصراعات والحروب التي نشبت تحت مظلة العلمانية أو الإلحاد تتسم بمدى تجاوزَ التصور العادي، حيث ترتب على آثارها المأساوية خسائر جسيمة في الأرواح

البشرية، تجاوزت كل المقاييس والإحصاءات المألوفة، وفيما يأتي بعض الأمثلة:

١- الثورة الفرنسية: خلال المدة من عام ١٧٩٣ إلى ١٧٩٤، شهدت فرنسا مدة تعرف بـ "الإرهاب الجاكوبي". قامت الحكومة الفرنسية فيها بإعدام آلاف الأشخاص بوحشية، و صنّفت الكاثوليكية والديانات التقليدية الأخرى على أنها عنصر من عناصر النظام القديم والمؤامرة ضد الثورة[١].

٢- الثورة الروسية: بعد الثورة الروسية في عام ١٩١٧، أُقيم النظام الشيوعي السوفيتي، وشهدت روسيا والاتحاد السوفيتي زمان عنف وقمع شديدين، حيث قُتل، وتعرض للتهجير والاضطهاد عدد كبير من الأفراد بسبب معتقداتهم الدينية أو انتمائهم القومي[٢].

٣- الحرب الأهلية الإسبانية: في المدة من عام ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩، شهدت إسبانيا حربًا أهليةً بين الجمهوريين والقوات الوطنية التي كانت تتبنى العديد من القيم الدينية. قدمت بعض الفصائل الملحدة

(١) يُمكنك الاطلاع على الكتب التاريخية المتخصصة في الثورة الفرنسية مثل:
"The French Revolution: A Very Short Introduction" by William Doyle & "The Oxford History of the French Revolution" by William Doyle.

(٢) يُمكنك الاطلاع على الكتب التاريخية المتخصصة في الثورة الروسية مثل:
"A People's Tragedy: The Russian Revolution 1891-1924", by Orlando Figes & "The Russian Revolution: A Very Short Introduction" , by S.A. Smith

والشيوعية مساهمة في العنف وارتكاب جرائم قتل وتجاوزات[١].

٤- الحروب العالمية: في الحروب العالمية الأولى والثانية، شهدنا ارتكاب أعمال عنف ومجازر بنحو عام دون اعتبار للديانة أو العقيدة[٢].

٥- مذابح الدولة القمعية: هناك أمثلة على دول قمعية تتبنى الإلحاد أو العلمانية، وترتكب مجازر ضد المدنيين، مثل الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي والنظام الشيوعي في الصين. فقد ارتكبت جرائم قتل جماعية وانتهاكات لحقوق الإنسان خلال تلك الأزمنة[٣].

هذا، وقد قام أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كيل البريطانية "نفيد شيخ" بنشر دراسة قيِّمة بعنوان "أعداد القتلى: دراسة إحصائية للعنف السياسي في حضارات العالم". في هذه الدراسة، قام بمراجعة جميع الحروب التي جرت بين الدول، بما في ذلك الحروب الأهلية والمذابح العرقية والجماعية وغيرها من الأحداث العنيفة التي تجاوز

(١) يُمكنك الاطلاع على الكتب التاريخية المتخصصة في الحرب الأهلية الإسبانية مثل:
"The Battle for Spain: The Spanish Civil War 1936-1939" by Antony Beevor & "The Spanish Civil War: A Very Short Introduction" by Helen Graham.

(٢) تُوجد العديد من المصادر التاريخية التي تُغطي الحربين العالمية الأولى والثانية، بما في ذلك الكتب التاريخية المعروفة مثل:
"The Guns of August" by Barbara W. Tuchman & "The Second World War" by Antony Beevor

(٣) يُمكنك الاطلاع على الكتب والمقالات التي تناقش مذابح الدول القمعية مثل:
"The Gulag Archipelago" by Aleksandr Solzhenitsyn & "Mao's Great Famine: The History of China's Most Devastating Catastrophe" by Frank Dikötter.

عدد القتلى في الحدث الواحد منها ١٠,٠٠٠ قتيل.

قام نفيد شيخ بتصنيف الأحداث العنيفة حسب الحضارات الرئيسة، والتي تشمل الملاحدة، البوذية، المسيحية، الهندوسية، الإسلامية، البدائية، والصينية. ووضع كل حدث عنيف في الحضارة التابعة له، مع إحصاء عدد القتلى في كل حضارة.

وعلى وفق نتائج الدراسة، احتلت الحضارة المسيحية المرتبة الأولى في أنها أكبر مسبب للخسائر البشرية، تليها حضارة الملاحدة مباشرة في المرتبة الثانية بعدد قتلى يفوق ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠. تشير تقديرات الدراسة إلى أن عدد الضحايا قد يصل إلى ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ قتيل.

هذه النتائج تتعارض تمامًا مع بروباجندا السلام الإلحادية[١] التي يروج لها بأنها رسالة سامية تأتي لإنقاذ الناس من عنف الأديان.

وقد مثلت الدول الشيوعية أقسى نموذج يتبنى الإلحاد. حيث اعتنق الشيوعيون في روسيا والبلدان المجاورة العقيدة المادية التاريخية الصلبة، وأصبحت العقيدة السائدة للجماهير في تلك البلدان. وارتكبت بسببها جرائم فظيعة ضد البشر في روسيا والصين وكمبوديا وغيرها من البلدان.

وثق "الكتاب الأسود للشيوعية: الجرائم والإرهاب والقمع" الذي

---

(١) مصطلح "بروباجندا" يعني نشر رسالة أو فكرة معينة بطريقة مغلوطة أو مغرضة، ويستخدم في بعض الأحيان للإشارة إلى التلاعب بالحقائق أو تضليل الجمهور.

صدر عام ١٩٩٧، عدد الضحايا الذين سقطوا جراء الأيديولوجية الشيوعية المعادية للدين. تلك الجرائم تشمل قمع الحريات الرئيسة واعتقال المعارضين السياسيين وتعذيبهم وقتلهم، وتهجير السكان وإقامة معسكرات الاعتقال القسري وتنفيذ الحملات القمعية الوحشية.

لذلك، يتضح أن الدراسة التي نشرها "نفيد شيخ" تسلط الضوء على أعداد القتلى في العنف السياسي عبر الحضارات، وتظهر أن العنف ليس مقتصرًا على الأديان فقط، بل يشمل أيضًا أنظمة سياسية محددة مثل الشيوعية[1].

## تلخيص الإجابة:

- الحروب لا ترتبط حصرًا بالأديان، بل بطبيعة الإنسان ودوافعه الشخصية.
- لو تحول جميع البشر إلى الإلحاد، فلن تُحل المشكلة، ولن يتوقف التنافس غير الخُلقي، ولن يحدث سلام واستقرار.
- الحروب والصراعات يمكن أن تنشأ نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية وقومية وعرقية وتاريخية وإقليمية.
- الفقر والظروف الاجتماعية الصعبة يمكن أن تسهم في اندلاع الحروب والصراعات.

(1) Naveed S.Sheikh, Body Count: A Quantitative Review of Political

◆ الحروب والصراعات لا يمكن أن يُلقى اللوم في نشوبها على الأديان عمومًا، بل يجب أخذ العوامل المتعددة التي تؤدي إلى تلك الظواهر في الاعتبار.

◆ الحروب والصراعات التي نشبت تحت مظلة العلمانية أو الإلحاد كانت أكثر تفاقمًا وتسببًا لخسائر بشرية جسيمة.

◆ توجد دراسة لـ "نفيد شيخ" تصنف الأحداث العنيفة حسب الحضارات، وتشير إلى أن الحضارتين المسيحية والملاحدة هما أكبر مسببين للخسائر البشرية.

◆ الدول الشيوعية قد ارتكبت جرائم فظيعة ضد البشر، وكان للإلحاد الأثر الأبرز في تلك الجرائم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



## تحديد عدد الخلفاء باثني عشر خليفةً وأثره في كشف زيف خلافة غيرهم

السائل: سالم محمد الحلفي

السؤال: تحديد عدد الخلفاء بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله بـ ١٢ خليفة كان أمرًا مهمًّا ومحوريًّا في الشأن السياسي والديني للأمة الإسلامية. وعلى رغم أن الرسول الأكرم حدد هذا العدد، فلماذا واجه أهل السُّنة تحديات وصعوبات في تنظيمهم رقميًّا؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الحديث وارد في أصحّ الكتب الحديثية عند أهل السنّة كصحيح البخاري (يرويه من ثلاثة طرق)، وصحيح مسلم، وغيرهما من كتب الحديث كمسند أحمد (يرويه من ثلاثين طريقًا)، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، ومعاجم الطبراني وغيرها.. ولم يجد أهل السنّة له معنىً يستقيم مع مشربهم الذي يذهبون إليه في موضوع الخلافة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الحديث يعدّ من الأحاديث الشريفة الصحيحة القليلة المتّفق عليها عند السنّة والشيعة معًا وبلا خلاف. ولنذكر في البداية شيئًا من ألفاظ هذا الحديث:

١- أخرج البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "يكون اثنا عشر أميرًا" فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: "كلّهم من قريش"»[١].

٢- أخرج مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبي على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسمعته يقول: "إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفةً". قال: ثمّ تكلّم بكلامٍ خفي عليَّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: "كلّهم من قريش"»[٢].

٣- أخرج مسلم أيضًا - واللفظ له - وأحمد عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا"، ثمّ تكلّم النبيّ صلى الله عليه وسلم بكلمةٍ خفيت عليَّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "كلّهم من قريش"»[٣].

٤- أخرج مسلم أيضًا، وأحمد، والطيالسي، وابن حبّان، والخطيب

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص١٢٧، كتاب الأحكام؛ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٩٠؛ دلائل النبوة للبيهقي، ج٦، ص٥١٩.
(٢) صحيح مسلم، ج٦، ص٣، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.
(٣) صحيح مسلم، ج٦، ص٣، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش؛ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٩٨ و١٠١.

التبريزي، وغيرهم، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة"، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: "كلّهم من قريش"»[١].

٥- وأخرج مسلم - واللفظ له - وأحمد عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعةٍ عشية رجم الأسلمي يقول: "لا يزال الدين قائمًا حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش"»[٢].

٦- أخرج أحمد -واللفظ لغيره- والحاكم، والهيثمي عن الطبراني، والبزّار: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «"لا يزال أمر أُمتي صالحًا حتّى يمضي اثنا عشر خليفة". وخفض بها صوته، فقلت لعمي، وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: "كلّهم من قريش"»[٣].

إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة[٤].

---

(١) صحيح مسلم، ج٦، ص٣، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش؛ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٩٠ و١٠١؛ مسند أبي داود الطيالسي، ص١٠٥ و١٨٠؛ مشكاة المصابيح، ج٣، ص١٦٨٧، وقال: متفق عليه؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان، ج٨، ص٢٣٠.

(٢) صحيح مسلم، ج٦، ص٤، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش؛ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٨٦ و٨٨ و٨٩؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٦٩٠.

(٣) مسند أحمد، ج٥، ص٩٧، ١٠٧، إلا أنّ فيه: لا يزال هذا الأمر صالحًا؛ المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٦١٨؛ مجمع الزوائد، ج٥، ص١١٩٠، قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح، ورواه عن جابر في ص١٩١، وقال: رجاله ثقات.

(٤) ينظر: فيما صححه الألباني من صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص٨٠٧؛ وانظر: سنن الترمذي، ج٣، ص٣٤٠؛ المعجم الكبير للطبراني، ج٢، ص١٩٠، وما بعدها.

هذا، وقد حاول علماء أهل السنّة جاهدين تفسير هذا الحديث بما يتفق ومذاهبهم، فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال، لا يهتدون في ذلك إلى شيء، حتّى أعوزتهم الحجّة، فاضطروا إلى الاعتراف بعجزهم عن تفسيره بما يتفق ومذاهبهم في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن الجوزي في "كشف المشكل": «هذا الحديث قد أطلتُ البحث عنه، وتطلّبت مظانّه، وسألت عنه، فما رأيت أحدًا وقع على المقصود به»[١].

ونقل ابن بطّال عن المهلب قوله: «لم ألق أحدًا يقطع في هذا الحديث -يعني بشيء معين-»[٢].

وقال أبو بكر ابن العربي: ولم أعلم للحديث معنى! وهذا نصّ كلامه في شرح الحديث: «روى أبو عيسى عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون بعدي اثنا عشر أميرًا، كلّهم من قريش". صحيح، فعددنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك الحسن، معاوية، يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، هشام بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمّد بن مروان، السفّاح، المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق، المتوكّل، المنتصر، المستعين، المعتز، المهتدي، المعتمد، المعتضد، المكتفي،

---

(١) كشف المشكل، ج١، ص٤٤٩، وذكر ابن حجر هذه العبارة في فتح الباري، ج١٣، ص١٨٣.
(٢) فتح الباري، ج١٣، ص١٨٢.

المقتدر، القاهر، الراضي، المتقي، المستكفي، المطيع، الطائع، القائم، المهتدي، وأدركته سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وعهد إلى المستظهر أحمد ابنه، وتوفي في المحرم سنة ست وثمانين، ثمّ بايع المستظهر لابنه أبي منصور الفضل، وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين.

وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان بن عبد الملك، وإذا عددناهم بالمعنى، كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز!

ولم أعلم للحديث معنىً، ولعلّه بعض حديث. وقد ثبت أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "كلّهم من قريش"»[١].

ولا نريد أن نستعرض هنا كلّ من تعرّض من علماء أهل السنّة لهذا الحديث أو أراد أن يسبر غوره، ففشل في ذلك.

إلّا أنّ الّذي يستوقف المتابع هو: لماذا يذهب الشرّاح من أهل السنّة في هذا الحديث ذات اليمين وذات الشمال؟ ثمّ لا يهتدون إلى شيء، ويتركون الأحاديث الصحيحة الواردة عندهم الّتي تعينهم على التفسير الصحيح لهذا الحديث، فإنّا قد وجدنا بعضهم استعان حتّى بالتوراة المحرّفة في سبيل الوصول إلى تفسير لهذا الحديث، ولم يفلح[٢].

---

(١) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي، ج٩، ص٦٨-٦٩.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ج٦، ص٢٨٠، لتقف على تفسير أبي الجلد للحديث، والّذي صرّح ابن كثير بأنّ أبا الجلد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدّمة، ثمّ ذكر ما يفيد ذلك من التوراة المتداولة بأيدي أهل الكتاب.

والحال أنّ تفسير الحديث بالحديث خير لهم من تفسير الحديث بالظنّ أو التوراة المحرّفة؟!

وقد يكون سبب الإعراض عن تفسير الحديث بالحديث أنّهم لم يجدوا في كتبهم الحديثية شيئًا يعينهم على تفسير الحديث بحسب مذهبهم في الخلافة، بل بالعكس فقد وجدوا أحاديثَ تناهض ما يذهبون إليه في الموضوع.

فهم مثلًا يروون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الخلافة ثلاثون سنة، ثمّ تكون بعد ذلك ملكًا»[١]. وهو يناقض ما ذهبوا إليه من تعيين بعض الأسماء للخلافة من الحكام الأمويين والعباسيين!

أو هذا الحديث: «قال سعيد: فقلت له [أي: لسفينة راوي الحديث]: إنّ بني أُمية يزعمون أنّ الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شرّ الملوك»[٢].

ولن نجد تفسيرًا صحيحًا لهذا الحديث الشريف سوى ما عليه الشيعة الإمامية، فهم الطائفة الوحيدة من المسلمين التي ينطبق عليها الحديث الشريف، وهي الوحيدة التي تجد عندها التفسير الصحيح له بالاستناد إلى الأحاديث الصحيحة الأخرى المروية في كتب أهل السنّة أنفسهم.

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج١، ص٧٤٢، ح٤٥٩، ينقل تصحيحه عن: الحاكم، والذهبي، وابن حبّان، وابن حجر، وابن جرير الطبري، وابن تيمية.

(٢) سنن الترمذي، ج٣، ص٣٤١، قال: حديث حسن؛ تحفة الأحوذي، ج٦، ص٣٩٧، قال المباركفوري: وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي، قال الحافظ في الفتح بعد ذكر الحديث: أخرجه أصحاب السنن، وصحّحه ابن حبّان وغيره.

فقد ورد في كتب أهل السنة بسندٍ صحيح عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»[(١)].

وفي هذا الحديث الصحيح توجد أربع دلالات:

**الأولى:** أنّ العترة هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ.

**الثانية:** أنّ العترة تكون هادية مهدية إلى يوم القيامة، وهذا هو معنى عدم الافتراق عن القرآن الذي نصّ عليه علماء أهل السنة عند شرحهم للحديث المذكور.

**الثالثة:** استمرار خلافة العترة إلى يوم القيامة، كما نصّ على ذلك علماء أهل السنة أنفسهم عند شرحهم لهذا الحديث.

**الرابعة:** كونهم من قريش؛ لأنّ العترة من بني هاشم، وبنو هاشم من قريش.

فإذا تأملنا هذا الحديث الصحيح بما فيه من دلالات أربع، وتأملنا حديث "الخلفاء من بعدي اثنا عشر" -المتقدّم بيانه- ننتهي إلى نتيجة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار.

فحديث "الخلفاء من بعدي اثنا عشر" يشير إلى استمرار خلافتهم

---

(١) صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج١، ص٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم:٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرناؤوط؛ مجمع الزوائد، ج١، ص١٧٠، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، ج٩، ص١٦٢، قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد.

إلى يوم القيامة، حيث جاء فيه: «لا يزال الدين قائمًا حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[١].

يقول ابن كثير في تاريخه: «قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرّر أنّهم يكونون مفرّقين في الأُمّة، ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا»[٢].

وعن ابن حجر في "فتح الباري": «ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة»[٣].

وأيضًا يشير هذا الحديث إلى أنّ هؤلاء الخلفاء هم من الصالحين: «لا يزال هذا الأمر صالحًا»[٤].

يقول ابن كثير في تفسيره: «ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحًا، يقيم الحق، ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم... ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره»[٥].

فحديث "الخلفاء من بعدي اثنا عشر" فيه دلالات أربع: الصلاح، النصّ على خلافتهم، استمرار هذه الخلافة إلى يوم القيامة، وأنّهم من

(١) صحيح مسلم، ج٦، ص٤، كتاب الإمارة عن جابر بن سمرة.
(٢) تاريخ ابن كثير، ج٦، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٣) فتح الباري، ج١٣، ص٢١١.
(٤) انظر: مسند أحمد، ج٥، ص٩٧، ١٠٧.
(٥) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٤.



قريش... وهي نفسها دلالات حديث الثقلين المتقدّمة من دون زيادة ولا نقيصة.

وبمقتضى الجمع بين الحديثين الشريفين (الثقلين، والخلفاء من بعدي اثنا عشر) ننتهي إلى نتيجة واضحة جدًّا وضوح الشمس في رائعة النهار، حاصلها:

أنّ الخلفاء الاثني عشر الذين تستمر خلافتهم إلى يوم القيامة هم من عترة النبيّ ﷺ ليس غير، ولم يصرّح جماعة أو فرقة من فرق المسلمين بموالاة اثني عشر خليفة أو إمامًا من العترة سوى الشيعة الإمامية، وبهذا يثبت المطلوب.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.





## المحتويات